Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دكتور محمد عثمان نجاتي

# القرآن وعلم النفس

دار الشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# القرآن وعلم النفس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبعة السابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعات السابقة: ١٩٨٢-١٩٨٥-١٩٨٧-١٩٨٩-١٩٩٢-١٩٩٧م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصري -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب: ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# القرآن وعلم النفس

تأليف

الدكتور محمد عثمان نجاتي

استاذ علم النفس بجامعة القاهرة
وجامعة الكويت
وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
سابقاً

دار الشروق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تصدير الطبعة الأولى

يرجع اهتمامي بموضوع « القرآن وعلم النفس » إلى حوالى أربعين سنة مضت ، وذلك حينما كنت أعد رسالتي للماجستير في موضوع « الإدراك الحسي عند ابن سينا » في الفترة من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٢ . فلقد رأيت أنه من الضروري لفهم آراء ابن سينا في علم النفس الرجوع إلى جميع ما كان معروفاً قبل عصر ابن سينا من مفاهيم وآراء ودراسات نفسية مختلفة . ولذلك تعرضت في مقدمة الرسالة إلى بعض المفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف كمصدرين من المصادر التي أثرت في بعض آراء ابن سينا وخاصة في موضوع الإدراك الحسي واكتساب المعرفة والأحلام والرؤى .

ثم عدت إلى الاهتمام بهذا الموضوع مرة أخرى حينما قمت بإلقاء محاضرة في موضوع « القرآن وعلم النفس » في جمعية المعلمين بالقاهرة في إحدى أمسيات رمضان فى حوالى منتصف الخمسينيات على ماأستطيع أن أتذكر. ثم ألقيت محاضرة أخرى في نفس الموضوع في الموسم الثقافي لمدرسة الشويخ الثانوية بالكويت في عام ١٩٦٦ ، ونشر ملخص لهذه المحاضرة في كتاب « الجامعة والمجتمع » الذي أصدرته جامعة الكويت في العام الجامعي ١٩٦٦ / ١٩٦٧ .

وكنت طوال هذه المدة مشغولاً بالتدريس والبحث والتأليف والإشراف على بحوث تلاميذي للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في علم النفس ، ولم تتيسر لي الفرصة الكافية للتفرغ لدراسة المفاهيم النفسية في القرآن الكريم دراسة شاملة وعميقة . وحينما أوشك القرن الرابع عشر الهجري على الانتهاء ، وأخذ العالم الاسلامي يستعد للاحتفال باستقبال القرن الخامس عشر الهجري بإعداد البحوث والدراسات ، وإقامة الندوات والاحتفالات ، شعرت بأنه قد آن الأوان لكي أتفرغ لدراسة المفاهيم النفسية في القرآن الكريم ، ولإعداد كتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في هذا الموضوع احتفالاً باستقبال القرن الخامس عشر الهجري . وقد حصلت على أجازة تفرغ علمى من جامعة الكويت خلال الفصل الدراسى الأول من العام الجامعي ١٩٨٠ / ١٩٨١ م ، استطعت فيها أن أجمع الجزء الأكبر من البيانات التي تضمنها هذا الكتاب . وإني انتهز هذه المناسبة لكي أقدم جزيل شكري إلى جامعة الكويت التي هيأت لي فرصة التفرغ لإنجاز هذه الدراسة التي طالما كانت تراود اهتمامي في السنوات الماضية ، والتى طالما كنت أتمنى أن أقوم بإنجازها .

كما أنى أود أيضاً أن أقدم جزيل الشكر والامتنان إلى جميع السادة الكتاب الذين قرأت لهم واستفدت من آرائهم ، والذين أشرت إليهم في هوامش الكتاب وفي قائمة المراجع في آخر الكتاب .

وإني لأحمد الله سبحانه وتعالى على أن مكنني أخيراً من إعداد هذا الكتاب . وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في عرض المفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم ، وفي المقارنة بينها وبين مفاهيم علم النفس الحديث .

١٣ من رمضان ١٤٠١ هـ
١٤ من يوليه ١٩٨١ م

محمد عثمان نجاتي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تصدير الطبعة الثانية

أحمد الله تعالى على مالقي هذا الكتاب في طبعته الأولى من اهتمام كبير من كثير من المهتمين بالتراث الإسلامى بعامة ، وبعلم النفس الإسلامي بخاصة . وقد كان ما قوبل به هذا الكتاب من اهتمام حافزاً لي لمواصلة البحث في هذا المجال ، ودافعاً لي إلى استكمال البحث في الأصول الإسلامية لعلم النفس في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، ولدى المفكرين المسلمين . وإني لأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوقفنى في القيام بهذه المهمة ، وأن يعينني بمدد منه تعالى علي أدائها ، إذا شاء تعالى أن يكون لي في العمر بقية تمكنني من القيام بها .

وقد أُدخل في الطبعة الثانية من هذا الكتاب كثير من التنقيحات والإضافات . فقد أضيفت بعض الآيات القرآنية ، كما أضيفت تعليقات وتحليلات ومقارنات جديدة في معظم فصول الكتاب .

وقد أتيحت لمؤلف هذا الكتاب فرصة التحدث عن بعض الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب في عدة ندوات . وكانت التعليقات والمناقشات التي أعقبت حديثي مفيدة لي . وإنه ليسرني أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من أبدى ملاحظة أو تعليقاً أفدت منه ، من بين السادة الزملاء الأفاضل الذين حضروا هذه الندوات .

ولايفوتني أيضاً أن أتقدم بجزيل الشكر إلى الصديق العزيز الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل على ما أبداه من ملاحظات قيمةعلى بعض النقاط الواردة في الكتاب .

كما أتقدم أيضاً بجزيل الشكر إلى مؤسسة التقدم العلمي بالكويت على تقديرها لهذا الكتاب ولكتابى السابق « الإدراك الحسي عند ابن سينا : بحث في علم النفس عند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العرب » ، إذ منحتني عليها جائزتها لعام ١٩٨٣ م المخصصة لتحقيق التراث .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في تلافي بعض نواحي القصور التي وردت في الطبعة الأولى من الكتاب ، وإن كنت أشعر أن الكتاب لازال في حاجة إلى مراجعة مستمرة ، وإلى اضافات كثيرة أرجو أن أستطيع تحقيق بعضها في الطبعات التالية إن شاء الله .

وإني لأدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب قربة إليه تعالى ، وأن يجعله لي يوم لقائه نوراً يثقل به ميزاني ، إنه سميع مجيب .

١٠ من شوال ١٤٠٤ هـ
٩ من يوليو ١٩٨٤ م

محمد عثمان نجاتي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# تصدير الطبعة الخامسة

أُدخلت في الطبعة الخامسة تنقيحات كثيرة ، وأضيفت أجزاء جديدة في معظم فصول الكتاب . ففي الفصل الأول الخاص بدوافع السلوك في القرآن أُعيدت كتابة الأجزاء الخاصة بالدوافع النفسية والروحية ، ودافع التديّن ، والسيطرة على الدوافع . وفي الفصل الثاني الخاص بالانفعالات في القرآن أُعيدت كتابة الأجزاء الخاصة بالخوف ، والغضب ، وحب الذات ، وحب الله ، والحسد . وفي الفصل الرابع الخاص بالتفكير في القرآن أُضيف جزء جديد عن البحث التجريبي . وفي الفصل الخامس الخاص بالتعلم في القرآن أُعيدت كتابة الجزئين الخاصين بالتفكير ، وإثارة الدافع بالقصص . وقد أُعيدت كتابة الفصل الثامن الخاص بالجهاز العصبي والمخ في القرآن ، أُدخلت فيه بيانات جديدة . وفي الفصل التاسع الخاص بالشخصية في القرآن ، وأُدخلت بعض الاضافات إلي الجزئين الخاصين بالشخصية السوية ، والحيل العقلية في القرآن ، وأُعيدت كتابة الجزء الخاص بنمو الإنسان في القرآن ، وأدخلت فيه بيانات جديدة . هذا بالإضافة إلي تنقيحات أخرى في معظم الكتاب . والله ولى التوفيق .

٨ جمادى ثانى ١٤١٣ هـ

٢ ديسمبر ١٩٩٢ م

محمد عثمان نجاتي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# المحتويات

الصفحة

مقدمة ..... ١٩

الفصل الأول : دوافع السلوك في القرآن ..... ٢٧
الدوافع الفسيولوجيه ..... ٢٧
أولاً : دافع حفظ الذات ..... ٢٩
ثانياً : دافعا بقاء النوع ..... ٣٨
الدافع الجنسي ..... ٣٨
دافع الأمومة ..... ٤٠
الدوافع النفسية والروحية ..... ٤١
دافع التملك ..... ٤٣
دافع العدوان ..... ٤٥
دافع التنافس ..... ٤٨
دافع التدين ..... ٤٩
الدوافع اللاشعورية ..... ٥٢
الصراع بين الدوافع ..... ٥٣
السيطرة على الدوافع ..... ٥٥
انحراف الدوافع ..... ٦٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفحة

الفصل الثاني : الانفعالات في القرآن ..... ٧١
الخوف ..... ٧١
أنواع الخوف ..... ٧٤
الغضب ..... ٧٩
الحب ..... ٨٢
حب الذات ..... ٨٣
حب الناس ..... ٨٤
الحب الجنسي ..... ٨٦
الحب الأبوى ..... ٨٧
حب الله ..... ٩٠
حب الرسول ..... ٩٣
الفرح ..... ٩٤
الكره ..... ٩٥
الغيرة ..... ٩٨
الحسد ..... ٩٨
الحزن ..... ١٠٠
الندم ..... ١٠٣
انفعالات أخرى ..... ١٠٥
التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال ..... ١٠٨
السيطرة على الانفعالات ..... ١١٣
السيطرة على الخوف من الموت ..... ١١٣
السيطرة على الخوف من الفقر ..... ١١٦
السيطرة على الغضب ..... ١١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفحة

السيطرة على الحب ..... ١١٩
السيطرة على انفعالات أخرى ..... ١٢٠

**الفصل الثالث : الإدراك الحسي في القرآن** ..... ١٢٣
الحواس في القرآن ..... ١٢٥
الحواس الجلدية ..... ١٢٨
الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس ..... ١٢٩
الخداع البصري ..... ١٣٢
تأثير الدوافع والقيم في الانتباه والإدراك الحسي ..... ١٣٣

**الفصل الرابع : التفكير في القرآن** ..... ١٣٧
خطوات التفكير في حل المشكلات ..... ١٤٠
اخطاءالتفكير ..... ١٤٦
أ ـ التمسك بالأفكار القديمة ..... ١٤٨
ب ـ عدم كفاية البيانات ..... ١٥٠
جـ ـ التحيز الانفعالي والعاطفي ..... ١٥٣

**الفصل الخامس : التعلم في القرآن** ..... ١٥٧
مصادر العلم ..... ١٥٧
تعلم اللغة ..... ١٥٨
تعلم آدم للغة ..... ١٥٨
تعلم إرادة الاختيار واتخاذ القرار ..... ١٦١
طرق التعلم في القرآن ..... ١٦١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفحة

التقليد ..... ١٦٢
التجربة العملية والمحاولة والخطأ ..... ١٦٤
التفكير ..... ١٦٦
مبادئ التعلم في القرآن ..... ١٦٨
الدافع ..... ١٦٩
أ ـ إثارة الدافع بالترغيب والترهيب ..... ١٦٩
ب ـ إثارة الدافع بالقصص ..... ١٧٤
جـ ـ الاستعانة بالأحداث الهامة ..... ١٧٥
التكرار ..... ١٧٦
الانتباه ..... ١٨١
المشاركة الفعالة ..... ١٨٥
توزيع التعلم ..... ١٨٧
التدرج في تعديل السلوك ..... ١٨٧

**الفصل السادس** : العلم اللدني في القرآن ..... ١٩٥
الإلهام والرؤيا ..... ١٩٥
الأحلام والرؤى ..... ٢٠٣

**الفصل السابع** : التذكر والنسيان في القرآن ..... ٢٠٩
النسيان ..... ٢١٠
النسيان والشيطان ..... ٢١٣
علاج النسيان في القرآن ..... ٢١٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفحة

الفصل الثامن : الجهاز العصبى والمخ في القرآن ..... ٢١٧
الفصل التاسع : الشخصية فى القرآن ..... ٢٢٣
تكوين الإنسان ..... ٢٢٥
الصراع النفسي ..... ٢٢٧
التوازن فى الشخصية ..... ٢٣٥
الشخصية السوية ..... ٢٣٦
أنماط الشخصية فى القرآن ..... ٢٣٧
المؤمنون ..... ٢٣٩
الكافرون ..... ٢٤٣
المنافقون ..... ٢٤٥
الحيل العقلية فى القرآن ..... ٢٤٧
الإسقاط ..... ٢٤٧
التبرير ..... ٢٤٨
تكوين رد الفعل ..... ٢٤٩
الفروق الفردية فى القرآن ..... ٢٥١
نمو الإنسان فى القرآن ..... ٢٥٤
النمو قبل الميلاد ..... ٢٥٤
النمو بعد الميلاد ..... ٢٥٩
النمو الحسي للوليد ..... ٢٦٢
الفصل العاشر : العلاج النفسي في القرآن ..... ٢٦٥
الإيمان والشعور بالأمن ..... ٢٧٠
الإيمان وشعور الإنتماء إلى الجماعة ..... ٢٧٨
أسلوب القرآن فى علاج النفس ..... ٢٨٠
الإيمان بعقيدة التوحيد ..... ٢٨٢
التقــوى ..... ٢٨٢
العبــادات ..... ٢٨٤

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصفحة

أ ـ الصلاة ..... ٢٨٥
ب ـ الصيام ..... ٢٩٣
جـ ـ الزكاة ..... ٢٩٥
د ـ الحج ..... ٢٩٥
الصبر ..... ٢٩٧
الذكر ..... ٣٠٠
التوبة ..... ٣٠٣
المراجع : ..... ٣٠٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# مُقَدِّمَة

إن القرآن الكريم كتاب دين وهداية أنزله الله سبحانه وتعالى على النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه للناس كافة ، يخاطب فيه عقل الإنسان ووجدانه ، ويعلمه عقيدة التوحيد ، ويزكيه بالعبادات ، ويهديه إلى ما فيه خيره وصلاحه في حياته الفردية والاجتماعية ، ويرشده إلى الطريق الأمثل لتحقيق ذاته ، ونمو شخصيته ، وترقي نفسه في مدارج الكمال الإنساني حتى يستطيع أن يحقق لنفسه السعادة في الدنيا والآخرة .

« هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ »(١)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ »(٢)

« .. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ »(٣)

« كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ »(٤)

« هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ »(٥)

---

(١) الجاثية : ٢٠ .
(٢) يونس : ٥٧ .
(٣) النحل : ٨٩ .
(٤) البقرة : ١٥١ .
(٥) الجمعة : ٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد حث القرآن الكريم الناس على السير في الأرض وملاحظة ما في الكون من مخلوقات ، والنظر والتفكير في السماوات والأرض وما فيها من خلق الله حتى يستطيعوا أن يستدلوا مما يرونه من بديع الصنع والخلق على وجود المبدع الخالق سبحانه وتعالى .

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ .. »(١)

« أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ .. »(٢)

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. »(٣)

وقد عنى القرآن الكريم عناية كبيرة بحثّ الناس على التعلم وتحصيل العلم . ولا أدلّ على ذلك من أن أول آية نزلت من القرآن الكريم كانت تدعو إلى القراءة والتعلم ، وتشيد بشأن القلم وهو الأداة التي علّم بها الله سبحانه وتعالى الإنسان الكتابة ، وعلمه ما لم يكن يعلم من العلوم .

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »(٤)

وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم أداة الكتابة تكريماً لشأن القلم والكتابة ، وتنويهاً بفضلهما في عملية التعلم وتحصيل العلم .

« نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ »(٥)

---

(١) العنكبوت : ٢٠ .
(٢) الأعراف : ١٨٥ .
(٣) يونس : ١٠١ .
(٤) العلق : ١ – ٥ .
(٥) القلم : ١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أشاد القرآن الكريم بفضل العلم ، وكرم العلماء ، ورفع من شأنهم ، ووضع العلم في مرتبة عالية كمرتبة الإيمان .

« .. يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ .. »(١)

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »(٢)

ولا أدل على تكريم القرآن للعلم والعلماء من ذكره « للذين أوتوا العلم » قبل « الذين أوتوا الإيمان » في الآية السابقة ، ومن ذكره أيضاً « لأولي العلم » بعد « الملائكة » في الإقرار بوحدانية الله تعالى وبعدله وقدرته وحكمته في الآية التالية :

« شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ »(٣)

ومن أدلة تكريم الله تعالى للعلم وإشادته بفضله أنه جل شأنه طلب من النبي صلوات الله عليه وسلامه أن يدعوه بالاستزادة من العلم .

« .. وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا »(٤)

فالعلم والحكمة نعمتان من نعم الله العظيمة على الإنسان يخص بهما من يشاء من عباده المؤمنين الصالحين .

« يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ »(٥)

---

(١) المجادلة : ١١ .
(٢) الروم : ٥٦ .
(٣) آل عمران : ١٨ .
(٤) طه : ١١٤ .
(٥) البقرة : ٢٦٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكانت نعمة العلم والحكمة من أهم النعم التي أنعم الله تعالى بها على أصفيائه من الأنبياء والمرسلين كما أشارت إلى ذلك كثير من آيات القرآن الكريم [١] .

وحث القرآن الكريم الإنسان أيضاً على التفكير في نفسه ، وفي عجيب خلقه ، ودقة تكوينه ، وهو بذلك يدفع الناس إلى دراسة تكوينهم البدنى ، وإلى البحث فى علوم الطب والفسيولوجيا والتشريح ، وإلى دراسة النفس ومعرفة أسرارها . وإن معرفة الإنسان لنفسه تؤدى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى .

« وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »[٢]

« أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى .. »[٣]

« سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ .. »[٤]

« فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ »[٥]

وفى هذا المعنى جاء فى الأثر : « من عرف نفسه فقد عرف ربَّه » . وجاء أيضًا : « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه »[٦] .

وفضلاً عن ذلك ، فإن معرفة الإنسان لنفسه تساعده على ضبط أهوائها ، ووقايتها من الغواية والانحراف ، وتوجيهها إلى طريق الإيمان والعمل الصالح

---

(١) انظر مثلاً : البقرة : ٢٤٧ ، يوسف : ٢٢ و ٦٨ ، الأنبياء : ٧٤ ، النمل : ١٥ .

(٢) الذاريات : ٢٠ ، ٢١ .

(٣) الروم : ٨ .

(٤) فصلت : ٥٣ .

(٥) الطارق : ٥ – ٧ .

(٦) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي : معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، ط ٢ . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٥ ، ص ٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسلوك السليم مما يهيىء للإنسان الحياة الآمنة المطمئنة ، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة .

وقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات التي تعرضت لطبيعة تكوين الإنسان ، ووصفت أحوال النفس المختلفة ، وبينت أسباب انحرافها ومرضها ، وطرق تهذيبها وتربيتها وعلاجها . وذلك أمر طبيعي في كتاب أنزله الله تعالى لهداية الإنسان وتوجيهه وتربيته وتعليمه . وكانت هذه الآيات الواردة في القرآن الكريم عن النفس بمثابة المعالم التي يسترشد بها الإنسان في فهم نفسه وخصالها المختلفة ، وفي توجيهه إلى الطريق السليم في تهذيبها وتربيتها . ومن الممكن أن نسترشد بما ورد في القرآن الكريم من حقائق عن الإنسان ، وصفاته وأحواله النفسية في تكوين صورة صحيحة عن شخصية الإنسان ، وعن الدوافع الأساسية التي تحرك سلوكه ، وعن العوامل الرئيسية لتوافق شخصيته وتكاملها ، ولتحقيق صحته النفسية ، مما يكون من شأنه أن يمهد الطريق لقيام « علم للنفس » تتفق نتائجه وحقائقه مع الحقائق الصحيحة عن الإنسان التي نستمدها من كلام الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ، وهو الأعلم بطبيعته وأسرار تكوينه .

« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »[1]

وليس هذا الكتاب الذي نقدمه الآن إلا محاولة لجمع الحقائق والمفاهيم النفسية التي وردت في القرآن الكريم ، والاسترشاد بها في تكوين صورة واضحة عن شخصية الإنسان وسلوكه ، مما يمكن أن يمهد الطريق إلى نشوء دراسات جديدة في علم النفس تحاول أن تضع الأسس لنظريات جديدة في الشخصية تتفق حقائقها ومفاهيمها مع الحقائق والمفاهيم التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان .

إن علماء النفس المحدثين ، بتبنيهم مناهج البحث في العلوم الطبيعية ، قد

---

(١) الملك : ١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حصروا أنفسهم في دراسة الظواهر النفسية التي يمكن فقط ملاحظتها ودراستها دراسة موضوعية ، وتجنبوا البحث في كثير من الظواهر النفسية الهامة التي يصعب إخضاعها للملاحظة أو البحث التجريبي . وبذلك أبعدوا النفس ذاتها من دراساتهم ، لأن النفس شيء لا يمكن ملاحظته ، وقصروا دراساتهم على السلوك الذي يمكن ملاحظته وقياسه . وقد نادى بعضهم بتغيير اسم « علم النفس » وتسميته « علم السلوك » ، لأن علم النفس الحديث يدرس السلوك ولا يدرس النفس . وكان من نتيجة هذا الاتجاه في تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في بحوث علم النفس أن سادت في دراساته وجهة النظر المادية التي ترجع جميع الظواهر النفسية إلى العمليات الفسيولوجية ، والتي تنظر إلى الإنسان كنظرتهم إلى الحيوان ، بل إنهم جعلوا من دراستهم لسلوك الحيوان المدخل الطبيعي لفهم سلوك الإنسان ، مغفلين في كثير من الأحيان الاختلاف الكبير في طبيعة تكوين الإنسان الذي يتميز عن الحيوان بالروح ، وهو أمر يغفلونه في دراساتهم إغفالاً يكاد يكون تاماً .

وقد أدى ذلك إلى كثرة بحوث علم النفس التي تتناول كثيراً من أنواع السلوك الإنساني السطحي وغير الهام ، وإغفال دراسة كثير من الظواهر السلوكية الهامة في الإنسان التي تتناول النواحي الدينية والروحية ، والقيم الإنسانية العليا ، والحب في أسمى صوره الإنسانية ( بعيداً عن النواحي الجنسية التي تغلب على دراسة علماء النفس المحدثين للحب ) ، وأثر العبادات في سلوك الإنسان ، والصراع النفسي بين الدوافع البدنية والدوافع الروحية ، وتوافق الشخصية عن طريق تحقيق التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان ، وغير ذلك من الموضوعات التي سوف نتناولها في هذا الكتاب . ولقد لاحظ بعض علماء النفس المحدثين قصور علم النفس الحديث في دراسة النواحي الروحية في الإنسان . فقال إريك فروم Erich Fromm ، مثلاً ، وهو محلل نفسي معاصر ، إن اهتمام علم النفس الحديث « ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتمشى مع منهج علمي مزعوم ، وذلك بدلاً من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة . وهكذا أصبح علم النفس يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح . وكان معنياً بالميكانيزمات وتكوينات ردود الأفعال والغرائز ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دون أن يعنى بالظواهر الأساسية المميزة أشد التميز للإنسان : كالحب ، والعقل ، والشعور ، والقيم »[1]

وقد فطن في السنوات الأخيرة عدد قليل جداً من علماء النفس إلى أهمية دراسة هذه الناحية الروحية من الإنسان ، وبدأت محاولات لدراسة بعض الظواهر الروحية مثل التخاطر[2] والاستشفاف[3] ، غير أن هذه المحاولات لا زالت في بدايتها ، ولم تصل بعد إلى نتائج دقيقة يمكن ضمها باطمئنان إلى مجموعة معلوماتنا الدقيقة عن الإنسان .

ولا شك أننا في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بدراسة تراثنا الإسلامي ، مبتدئين بالقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ثم متتبعين تطور التفكير في في الدراسات النفسية لدى الفلاسفة والمفكرين المسلمين بهدف معرفة المفاهيم النفسية الإسلامية فهماً صحيحاً يكون هادياً لنا في دراساتنا النفسية ، وعوناً لنا في تكوين نظرياتنا الخاصة عن الشخصية الإنسانية بحيث نجمع بين دقة البحث العلمي الأصيل ، والحقائق التي وردت في القرآن الكريم عن الإنسان ، وهي حقائق يقينية لأنها صدرت عن الله تعالى خالق الإنسان .

« لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »[4]

---

(١) إريك فروم : الدين والتحليل النفسي ، ترجمة فؤاد كامل . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٧٧ ، ص ١١ .

(٢) التخاطر هو تبادل الخواطر والأفكار مع شخص آخر قد يكون موجوداً في مكان بعيد .

(٣) الاستشفاف هو إدراك الأشياء البعيدة الخارجة عن مجال الحواس .

(٤) فصلت : ٤٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

# دوافع السلوك في القرآن

الدوافع هي القوى المحرِّكة التي تبعث النشاط في الكائن الحيّ وتبدئ السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معيّنة . والدوافع تؤدي وظائف ضرورية وهامة للكائن الحي ، فهي التي تدفعه إلى القيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه ، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال الأخرى الهامة والمفيدة له في توافقه .

ويصنِّف علماء النفس المحدثون الدوافع إلى قسمين رئيسيين هما :

أولاً : الدوافع الفسيولوجية[1] ، وهي الدوافع الفطرية التي ترتبط بحاجات البدن الفسيولوجية وما يحدث في أنسجة البدن من نقص أو اختلال الاتزان . وهي تقوم بتوجيه سلوك الفرد إلى الأهداف التي تشبع حاجات بدنه الفسيولوجية ، أو تسدّ النقص الذي يطرأ على أنسجة البدن وتعيدها إلى حالتها السابقة من الاتزان .

ثانياً : دوافع نفسية وروحية[2] ، وهي دوافع تتعلق بحاجات الإنسان النفسية والروحية .

## الدوافع الفسيولوجية

لقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى الذي منح نعمة الوجود لكل مخلوق أن يودع في مخلوقاته خصائصها وصفاتها الخاصة التي تؤهلها لأداء الوظائف التي خلقها الله تعالى لها .

---

(١) وتسمى أيضاً بالدوافع الأولية .

(٢) وتسمى أيضاً دوافع ثانوية ، أو دوافع نفسية ـ اجتماعية ، أو دوافع اجتماعية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1]

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[2]

ومن بين الخصائص الهامة التي أودعها الله تعالى في طبيعة تكوين الحيوان والإنسان الدوافع الفسيولوجية . والدوافع الفسيولوجية قسمان : أحدهما ضروري لبقاء الفرد ، والآخر ضروري لبقاء النوع .

وتؤدي الوظائف الفسيولوجية وظيفة بيولوجية هامة للحيوان والإنسان ، فهي تقوم بتلبية حاجات البدن ، وتسدّ كل ما يطرأ عليه من نقص عضوي أو كيميائي ، وتقاوم كل ما يطرأ عليه من خلل أو اضطراب أو فقدان الاتزان . وهي تعمل دائماً على الاحتفاظ للبدن بقدر معينّ من الاتزان الحيوي اللازم لحفظ ذاته وبقائه . فإذا اختل الاتزان في البدن بأن قلّ الغذاء في الدم ، مثلاً ، أو قلّ الماء في أنسجة البدن ، أو زادت حرارة البدن أو برودته عن حد معين ، أو زاد التعب عن حد معين انبعثت في البدن فوراً دوافع معينة تدفع الفرد إلى القيام بالنشاط اللازم لإعادة البدن إلى حالته السابقة من الاتزان . وقد بينت الدراسات الفسيولوجية الحديثة[3] وجود ميل طبيعي في بدن الإنسان والحيوان إلى الاحتفاظ بدرجة ثابتة من الاتزان ، بحيث إذا اختلّ هذا الأتزان انبعث دافع إلى القيام بنشاط توافقي لإعادة البدن إلى حالتة السابقة من الاتزان . وقد يتم هذا النشاط التوافقي على أساس فسيولوجي بحت لا إرادة للإنسان فيه ، كما يحدث مثلاً حينما يتصبّب البدن عرقاً في درجات الحرارة العالية مما يؤدي إلى خفض درجة حرارة البدن نتيجة لتبخر العرق . أو كما يحدث حينما تدمع العين إذا دخل جسم غريب تحت الجفن ، وتؤدي الدموع إلى التخلص من هذا الجسم الغريب . وقد يتم هذا النشاط التوافقي بقيام الفرد بنشاط إرادى معين كأن يقوم مثلاً بتناول الغذاء في حالة الجوع ، أو بشرب الماء في حالة الظمأ .

---

(١) طه : ٥٠ .

(٢) الأعلى : ١ - ٣ .

(٣) قام بها وولتر كانون الفسيولوجي الأمريكي ونشرها في كتاب بعنوان « حكمة البدن » .

Cannon, W.B. *The Wisdom of the Body*. New York: Norton, 1932.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفكرة الاتزان الحيوي هذه التي اكتشفها العلماء حديثاً قد ذكرها القرآن الكريم من قبل منذ أربعة عشر قرناً ، وذلك في قوله تعالى :

« وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ »(١)

« .. وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ »(٢)

« الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ »(٣)

فالإنسان – وكذلك الحيوان – مخلوق بطريقة معينة متقنة مقدَّرة تقديراً بحيث يكون على قدر معين من الاتزان . فإذا اختل هذا الاتزان تنبعث الدوافع الفسيولوجية التي تدفع الإنسان – وكذلك الحيوان – إلى القيام بأنواع النشاط التوافقي اللازم لإعادة البدن إلى حالته السابقة من الاتزان .

وقد أشار القرآن إلى هذه الدوافع الفسيولوجية الهامة ، وسوف نتناول فيما يلي ما جاء في القرآن متعلقاً بهذه الدوافع .

## أولاً – دوافع حفظ الذات :

ذكر الله سبحانه وتعالى في بعض آيات القرآن أهم الدوافع الفسيولوجية

---

(١) الحجر : ١٩ . « من كل شيء موزون » أي « وزن بميزان الحكمة ، وقدِّر بمقدار ما تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان » ، تفسير النسفي ، جـ ٢ ، ص ٢٧ ، أي « مقدَّر بمقدار معيَّن حسبما تقتضيه الحكمة » حسين محمد مخلوف : صفوة البيان لمعاني القرآن ، القاهرة . دار الكتاب العربي ، ١٩٥٦ ، ص ٤٥ .

(٢) الرعد : ٨ . « أي بقدر واحد لا يتجاوزه » ، تفسير الجلالين ، ص ٢٠٦ ، « بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه » ، تفسير النسفي ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، « أي كل شيء عنده تعالى بقَدَر وحدّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه » ، حسين محمد مخلوف : صفوة البيان لمعاني القرآن ، مرجع سابق ، ص ٤٠٠ .

(٣) الانفطار : ٧ . « فعدلك أي جعلك معتدلاً سويّ الخلْق » ، تفسير القرطبي ، جـ ٩ ، ص ٢٤٦ . ويفهم من معنى الاعتدال والسواء في خلق الإنسان أنه يتضمن الاعتدال والسواء بصورة شاملة لجميع تكوين الإنسان سواء في هيئته الخارجية أو في تكوينه الداخلي ووظائفه المختلفة ، أي أنه يتضمن أيضاً مفهوم الاتزان الحيوي اللازم لحفظ ذات الإنسان وبقائه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي تقوم بحفظ الذات وبقاء الفرد مثل الجوع ، والعطش ، والتعب ، والحرارة والبرودة ، والألم ، والتنفس .

لقد خاطب الله تعالى آدم عليه السلام وهو في الجنة مذكراً له ما هو فيه من نعيم حيث لا يؤذيه الشعور بالجوع أو العطش ، وحيث لا يعري فيخدش حياؤه وتؤذيه تقلبات الجو ، وحيث لا يشعر بحرارة الشمس حيث لا توجد شمس في الجنة ، ومحذراً له من الوقوع في شرك الشيطان الذي يريد أن يخرجه من الجنة ليهبط إلى حياة الأرض التي سيشقى فيها هو وأبناؤه بالسعي والعمل المتواصل بالصيد والحرث والزرع لإشباع دافع الجوع ، وحفر الآبار والضرب في الأرض للوصول إلى مجاري الأنهار لإشباع دافع العطش ، وصنع الملابس لاتقاء العري الذي يعرضه لتقلبات الجو ، والالتجاء إلى ظلال الأشجار والكهوف وبناء المساكن لاتقاء حرارة الشمس وبرودة الليل . قال تعالى :

« فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ »[1]

في هذه الآيات إشارة إلى ثلاثة دوافع هامة من دوافع حفظ الذات وهي دوافع الجوع والعطش وتجنب الحرارة (وكذلك البرودة) المفرطة . كما تشير هذه الآيات أيضاً إلى دافع حب البقاء ودافع التملك . وتعمل دوافع حفظ الذات في خدمة دافع حب البقاء ، فهي بإشباعها حاجات البدن الفسيولوجية إنما تعمل على بقاء الفرد واستمرار حياته . أما دافع التملك فهو من الدوافع النفسية والروحية التي سنتناولها فيما بعد . وقد كان دافع حب البقاء ودافع التملك مدخل الشيطان إلى نفس آدم فوسوس له : «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» ، فنسي آدم ما حذره الله تعالى منه وعصى أمر ربه فأكل من الشجرة .

---

(١) طه : ١١٧ - ١٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونجد في الآيات التالية من سورة النحل إشارة إلى بعض دوافع حفظ الذات وهي : الحرارة والبرودة ، والتعب ، والألم . قال تعالى :

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ »(١)

ففي كهوف الجبال والخيام والبيوت يجد الإنسان سكناً يقي فيه نفسه من أذى الحيوانات الضارية ، وشر الأعداء ، وتقلبات الجو من حرارة وبرودة ، كما يجد فيها الراحة والمكان الآمن الذي يستطيع فيه النوم بعد عناء العمل المتواصل أثناء النهار . كما أن في ظلال الأشجار والتلال والجبال يجد الإنسان ملجأً يقيه حرارة الشمس ، وبالملابس التي يصنعها الإنسان يقي نفسه شدة الحرارة والبرودة ، وبالدروع التي يصنعها من الحديد يقي نفسه أثناء الحروب من أذى الأعداء وآلام الجروح .

ومما يشير إلى ان دوافع الجوع والعطش والتعب من الدوافع التي لا يستطيع أن يتحملها الإنسان عادة مدة طويلة لما تسببه له من ألم ، وما تلحقه به من ضرر ، ما وعد الله تعالى به المؤمنين من ثواب لتحملهم الجوع والظمأ والتعب في سبيل الله . قال تعالى :

« مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ

(١) النحل : ٨٠ ، ٨١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عَدُوّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ »[1]

ودوافع حفظ الذات موجودة لدى كل من الحيوان والإنسان . وتشير الآية التالية من سورة النمل إلى دوافع حفظ الذات عند النمل مما يجعلها تتجنب ما يؤذيها ويلحق بها الضرر ويصيبها بالهلاك والدمار .

« وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ »[2]

في هاتين الآيتين نجد إشارة واضحة إلى دوافع حفظ الذات عند النمل مما دفع نملة منها ، لعلها رئيسة مجتمع النمل أو حارسته ، إلى تنبيه بقية النمل إلى الخطر المحدق بهم لكي يدخلوا مساكنهم لاتقاء هذا الخطر .

وتشير بعض آيات القرآن إلى الأهمية الخاصة لكل من دافع الجوع وانفعال الخوف في حياة الإنسان . فكل من الجوع والخوف يلعب دوراً هاماً في حياة الإنسان . فالإنسان عادة يجد كثيراً من العناء في سبيل الحصول على لقمة العيش لنفسه وزوجه وأولاده . كما أن الخوف[3] من الموت ، أو من المستقبل المجهول ، أو من الأعداء ، أو من غير ذلك من مصائب الدهر ، كثيراً ما يكون سبباً في شقاء الإنسان . ولذلك فقد ذكرت بعض آيات القرآن كلاً من الجوع والخوف كعاملين لهما أثرهما الخطير في حياة الإنسان . قال تعالى :

« وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ »[4]

---

(١) التوبة : ١٢٠ .

(٢) النمل : ١٧ ، ١٨ .

(٣) سنتناول فيما بعد الخوف في شيء من التفصيل في الفصل الثاني الخاص بالانفعالات .

(٤) البقرة : ١٥٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ »(١)

« فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ »(٢)

ومما يبين أيضاً أهمية إشباع دافع الجوع في حياة الإنسان ، وكذلك أهمية وقاية جسمه من الأذى الذي قد ينشأ عن تقلبات الجو من حرارة وبرودة أن الله سبحانه وتعالى جعل كفارة اللغو في الأيمان إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم .

« لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(٣)

وأشار القرآن إلى دافع الحرارة والبرودة في قوله تعالى :

« وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا »(٤)

فليس فى الجنة شمس تجعل الإنسان يشعر بالحرارة ، كما أنه ليست فيها برودة شديدة .

---

(١) النحل : ١١٢ .

(٢) قريش : ٣ ، ٤ .

(٣) المائدة : ٨٩ .

(٤) الإنسان : ١٢ ، ١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأشار القرآن ايضاً إلى دافع التعب . قال تعالى عن لسان المؤمنين في الجنة .

« وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ »(١)

فني الجنة دار الإقامة الدائمة لا يشعر الإنسان بالتعب والإعياء لعدم التكليف . وقال تعالى أيضاً في وصف أهل الجنة :

« لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ »(٢)

أما في الحياة الدنيا حيث يشقى الإنسان في سبيل الحصول على رزقه ، وفي القيام بواجباته ومسؤولياته المختلفة فإنه يشعر بالتعب والإعياء ويحتاج إلى الراحة والنوم لكي يستعيد نشاطه وحيويته ويصبح قادراً على الاستمرار في القيام بمسؤولياته المعيشية .

« وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ »(٣)

فمن آيات الله أن ينام الإنسان سواء بالليل أو بالنهار لإراحة بدنه من عناء العمل أثناء النهار ، وطلبه للرزق من فضل الله الواسع ، وقيامه بمسؤولياته المعيشية المختلفة . وفي هذا المعنى قال الله تعالى أيضاً :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ »(٤)

---

(١) فاطر : ٣٤ ، ٣٥ ، لغوب : تعب وإعياء .

(٢) الحجر : ٤٨ .

(٣) الروم : ٢٣ .

(٤) يونس : ٦٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ »(١)

« أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(٢)

« وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا »(٣)

« وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا »(٤)

وتشير هذه الآيات إلى أن الله سبحانه وتعالى جعل الليل ساتراً بسواده ليستريح فيه الناس ويسكنوا وينام بعد عناء العمل وكثرة الحركة والنشاط أثناء النهار . وجعل النهار مضيئاً ليتمكنوا من السعي في الأرض طلباً للرزق وللقيام بمتطلبات معايشهم . وقال تعالى أيضاً عن دافع التعب وطلب الراحة :

« وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »(٥)

« وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(٦)

إن التعب دافع هام يدفع الإنسان إلى الراحة والنوم بعد عناء العمل أثناء النهار فتسترد خلايا بدنه نشاطها وحيويتها ، ويستيقظ الإنسان بعد النوم قوياً

---

(١) غافر : ٦١ .
(٢) النمل : ٨٦ .
(٣) النبأ : ٩ – ١١ .
(٤) الفرقان : ٤٧ .
(٥) الانعام : ٦٠ .
(٦) القصص : ٧٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نشيطاً قادراً على مواصلة عمله في حيوية ونشاط . ويؤدي النوم أيضاً إلى التخلص من التوتر البدني الذي ينشأ عن المخاوف التي تنتاب الإنسان ، وعن كثير من المشكلات والصعاب التي يتعرض لها أثناء حياته اليومية . يتضح ذلك مما جاء في القرآن في وصف حال المسلمين أثناء موقعة بدر حينما استولى على بعضهم الخوف . قال تعالى :

« إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ »[1]

فقد أدى نعاسهم إلى إزالة خوفهم مما أعاد إليهم حالة الأمن والاطمئنان . ويشير الله تعالى إلى أهمية النوم في حياة الإنسان بقوله تعالى :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »[2]

فإذا كان النهار مستمراً لا نهاية له ، ولا يوجد هناك ليل يسكن فيه الإنسان ليرتاح من التعب وينام ، فهل يستطيع الإنسان أن يعيش حياة هادئة خالية من العناء والشقاء . إن في ذلك دليلاً على فضل الله تعالى ونعمته على الإنسان ، بأن جعل النهار والليل متعاقبين على الدوام ، وبأن أودع في الإنسان دافع التعب الذي يدفعه إلى النوم والراحة ليسترد نشاطه وحيويته .

والألم من الدوافع الفسيولوجية الفطرية ، وهو يدفع الإنسان إلى تجنب ما يؤذيه ويؤلمه . وقد سبق أن أشرنا إلى دافع الألم فى الآية التى ذكرناها من قبل من سورة النحل ( الآية رقم ٨١ )[3] . ومما يشير أيضًا إلى أن الألم دافع قوي يدفع الناس إلى تجنب كل ما يؤلمهم ما جاء في كثير من آيات القرآن من تحذير الكفار والمنافقين مما يمكن أن يلحق بهم من ألم العذاب سواء في الدنيا

---

(١) الأنفال : ١١ .

(٢) القصص : ٧٢ .

(٣) انظر ص ٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو في الآخرة إن هم لم يتوبوا إلى الله ويؤمنوا به . ولو لم يكن الألم دافعاً قوياً وفطرياً وعاماً بين جميع البشر لما استعان الله تعالى به في تخويف الناس وتحذيرهم مما يمكن أن يلحق بهم من عذاب أليم إذا كفروا بالله تعالى ولم يؤمنوا برسالة محمد عليه الصلاة والسلام . وقد وردت في القرآن آيات كثيرة تحذر الكافرين من عذاب جهنم ، نذكر فيما يلي أمثلة منها :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ »(١)

« .. فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ »(٢)

« يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ »(٣)

ودافع التنفس من الدوافع الفسيولوجية الضرورية للحياة . فالإنسان – وكذلك الحيوان – يحتاج إلى تنفس الأكسيجين ليعيش . فإذا قل الأكسيجين شعر الإنسان بدافع قوى يدفعه إلى استنشاق الأكسيجين . فإذا انعدم الأكسيجين نهائياً مات الإنسان . وقد أشار الله تعالى إلى أهمية التنفس فى حياة الإنسان فى قوله تعالى :

« وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ۝ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ »(٤)

---

(١) المائدة : ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) التوبة : ٧٤ .
(٣) الاحقاف : ٣١ .
(٤) يس : ٤١ – ٤٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ .. وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا .. ﴾[1]

وتتضح أهمية دافع التنفس كدافع فسيولوجي فطري يؤدي وظيفة هامة في حفظ الذات وبقائها ما يشعر به الإنسان من خوف شديد إذا ما أحاط به خطر يهدده بالغرق . وقد أشار الله تعالى إلى حالة الذعر التي تصيب الإنسان إذا كان في الفلك في عرض البحر وهبت عليه عاصفة شديدة ، وأحاط به الموج من كل مكان ، وشعر بخطر الموت غرقاً .

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[2]

**ثانياً – دافعا بقاء النوع :**

وكما اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد في طبيعة تكوين الإنسان والحيوان دوافع فسيولوجية فطرية تدفعهما إلى أنواع السلوك الضرورية لحفظ الذات ، فقد اقتضت حكمته كذلك أن يوجد في طبيعة تكوينهما دافعين فسيولوجيين فطريين يدفعانهما إلى القيام بنوعين هامين من السلوك يتوقف عليهما بقاء النوع . هذان الدافعان هما الدافع الجنسي ، ودافع الأمومة .

**الدافع الجنسي :**

الدافع الجنسي يقوم بوظيفة هامة هي التناسل لبقاء النوع . وعن طريق الدافع الجنسي تتكون الأسرة ، ومن الأسر تتكون المجتمعات والشعوب ، فتعمر الأرض ، وتتعارف الشعوب ، وتزدهر الحضارة ، وتتقدم العلوم والصناعات .

---

(١) العنكبوت : ٤٠ .

(٢) يونس : ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »(١)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا »(٢)

« وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً .. »(٣)

« فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »(٤)

واقتضت مشيئة الله تعالى أن توجد وظيفة التناسل في النباتات أيضاً . كما اقتضت مشيئته تعالى أن يوجد كل شيء في الكون أزواجاً .

« .. وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ .. »(٥)

« وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »(٦)

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) النحل : ٧٢ .

(٤) الشورى : ١١ . وفي تفسير ابن كثير : « ( يذرؤكم فيه ) أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة . لا يزال يذرؤكم فيه ذكوراً وإناثاً خلقاً من بعد خلق وجيلاً بعد جيل » . ج ٤ ، ص ١٠٨ .

(٥) الرعد : ٣ .

(٦) الذاريات : ٤٩ . وقد بينت البحوث الحديثة في علم الطبيعة أن كل ذرة من الذرات التي تتكون منها جميع الأشياء في الكون تتكون من إلكترون وبروتون ، وقد تمكن العلماء من تحليلهما إلى كهارب موجبة وسالبة ، ينجذب كل منها إلى الآخر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ »(١)

والدافع الجنسي أساس تكوين الأسرة حيث يسكن كل زوج إلى زوجه فيشعر بالراحة والأمن والطمأنينة ، وتنشأ بينهما عواطف المحبة والمودة والرحمة مما يؤدي إلى استمرار الحياة الزوجية في وفاق وتعاون مما يهيئ الجو السليم لتنشئة الأطفال ورعايتهم وتكوين شخصياتهم تكويناً سليماً .

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »(٢)

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا .. »(٣)

**دافع الأمومة :**

وشاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد أيضاً في طبيعة تكوين الأم دافعاً فطرياً يهيؤها للقيام برسالتها الهامة في الإنجاب لبقاء النوع . فهي تتحمل مشاق الحمل والولادة عن رضا ، وتقوم بإرضاع الطفل ورعايته والحنو عليه حتى ينمو ويصبح قادراً على العناية بنفسه . وقد أشار القرآن إلى ما تتحمله الأم من عناء في الحمل والولادة .

« وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا .. »(٤)

---

(١) يس : ٣٦ . انظر في هذا الصدد أيضاً : محمد قطب : دراسات في النفس الإنسانية . بيروت : دار الشروق ، ١٩٧٩ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) الروم : ٢١ .

(٣) الأعراف : ١٨٩ .

(٤) الأحقاف : ١٥ . « حملته أمه كرها ووضعته كرها » أي على مشقة . « وفصاله » أي فطامه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ »[1]

ويصف القرآن عواطف الأم وحبها لأولادها ، وشغفها بهم ، وخوفها عليهم ، وحزنها لبعدهم عنها ، وفرحها لقربهم منها ، وذلك أثناء ذكره تعالى لقصة موسى عليه السلام .

« وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ »[2]

أي أن فؤادها أصبح خالياً من التفكير في أي شيء ما عدا ابنها . وكادت لفرط خوفها عليه وحزنها لفراقه أن تدل عليه لولا أن ثبّت الله تعالى قلبها وأنزل السكينة والطمأنينة في نفسها . ولما رُدَّ إليها ابنها ذهب عنها الحزن ، وعادت إليها سعادتها .

« فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ .. »[3]

## الدوافع النفسية والروحية

الدوافع النفسية والروحية هى الدوافع التى ترتبط بحاجات الإنسان النفسية والروحية ، وليست لها علاقة مباشرة بحاجات الإنسان الفسيولوجية . ويضم هذا القسم من الدوافع نوعين رئيسيين هما :

١ ـ **الدوافع النفسية** ، وهى ما يطلق عليه علماء النفس المحدثون اسم الدوافع النفسية ـ الاجتماعية ، لأنها تشبع حاجات نفسية للفرد من جهة ، ولأنها تظهر أثناء تنشئة الفرد الاجتماعية ، ونتيجة لتفاعله الاجتماعى مع غيره من الناس ، من جهة

---

(١) لقمان : ١٤ . الوهن هو الضعف . و« وهنا على وهن » يعني الضعف في الحمل والولادة .

(٢) القصص : ١٠ .

(٣) القصص : ١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخرى . ويذهب معظم علماء النفس المحدثين إلى أن الدوافع النفسية هى فى الأغلب مكتسبة على أساس دوافعنا الفسيولوجية ، أى أنهم يعتبرونها متفرعة أو مشتقة منها نتيجة تفاعلها مع خبرات الفرد وعوامل تنشئته الاجتماعية . وبناء على ذلك ، فهم لا ينكرون وجود عناصر فطرية فيها . بل يذهب بعضهم ، مثل إريك فروم ، إلى القول بأن بعض الدوافع النفسية والتى يسميها فروم الحاجات النفسية مثل الحاجة إلى الانتماء ، والحاجة إلى السمو ، والحاجة إلى هوية ، والحاجة إلى إطار للتوجيه هى حاجات فطرية أساسية فى طبيعة الإنسان ، وهى ليست مكتسبة من المجتمع[1] .

٢ ـ **الدوافع الروحية** ، وهى دوافع ترتبط بالناحية الروحية فى الإنسان ، مثل دافع التديّن ، والتمسك بالتقوى ، وحب الخير والحق والعدل ، وكره الشر والباطل والظلم ، وقد أغفل معظم علماء النفس المحدثين فى دراستهم للدافعية هذا النوع من الدوافع الروحية ، بالرغم من أنها أهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوان . وقد فطن أبراهام ماسلو A. Maslow إلى هذا القصور فى دراسة علماء النفس المحدثين للدافعية ، فقام باقتراح تصنيف جديد للدوافع يشمل الدوافع الروحية ، فقال بوجود نوعين من الدوافع أو الحاجات على حد تعبير ماسلو : حاجات أساسية ، وحاجات روحية . الحاجات الأساسية تشمل ما يدرسه معظم علماء النفس عن الحاجات الأساسية لدى الإنسان مثل الجوع ، والعطش ، والجنس ، والأمن ، والإنجاز ، وغير ذلك من الدوافع . وتشمل الحاجات الروحية الحاجات المرتبطة بالناحية الروحية فى الإنسان مثل العدل ، والخير ، والجمال . ويرى ماسلو أن حاجات الإنسان الروحية حاجات فطرية يتوقف على إشباعها تكامل نمو شخصية الفرد ونضوجه[2] .

ونحن نميل فى هذا الكتاب إلى أن نضم تحت عنوان الدوافع النفسية والروحية جميع الدوافع النفسية والروحية التى يتميز بها الإنسان عن الحيوان . كما نرى أيضاً أن كثيراً من هذه الدوافع ليس مكتسباً كلية من المجتمع ، بل يوجد فيه أيضاً عناصر فطرية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن علماء النفس المحدثين قد عنوا عناية فائقة بدراسة

---

(١) Lindzey, G., Hall, C S. and Thompson, R.F.: *Psychology*. New York: Worth Publishers, Inc., 1976, p. 360

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاجات الإنسان الفسيولوجية ، كما أن دراستهم للدوافع النفسية عنيت في الأغلب بحاجات الإنسان المختلفة المتعلقة بتوافقه الشخصي والاجتماعي لمتطلبات البيئة الاجتماعية والثقافية الخاصة التي ينشأ فيها . ولم يُعْنَ علماء النفس المحدثون بدراسة الناحية الروحية من الإنسان وما ينبعث منها من حاجات إنسانية نبيلة وسامية ، هي في حقيقة الأمر أهم وأرقى الحاجات الإنسانية ، وأهم ما يميز الإنسان عن بقية الحيوان . إن التزام علماء النفس المحدثين بتطبيق المنهج العلمي الذي يطبق في العلوم الطبيعية على دراسة الإنسان دفعهم إلى حصر انتباههم على دراسة نواحي السلوك الإنساني التي يمكن فقط إخضاعها للملاحظة المعملية وللبحث التجريبي ، وجعلهم يتجنبون البحث في كثير من نواحي السلوك الإنساني الهامة المتعلقة بالناحية الروحية في الإنسان . وبدلاً من محاولة ابتكار وسائل منهجية جديدة تصلح لبحث هذه النواحي الروحية في الإنسان ، فقد قاموا بإغفال دراستها كلية . غير أنه بدأت تظهر حديثاً انتقادات للاتجاه المادي الذي يغلب على دراسة علم النفس الحديث للإنسان ، ولإغفاله دراسة النواحي الروحية من سلوكه . فقد انتقد إريك فروم علم النفس الحديث لاهتمامه في أغلب الأحيان بدراسة نواحٍ تافهة وسطحية من سلوك الإنسان ، ولإغفاله دراسة مشكلات الإنسان الهامة وقيمه العليا ونواحيه الروحية ، وهي أهم ما يتميز به الإنسان[1] . وكانت مثل هذه الانتقادات هي ما حدا بماسلو إلى وضع تصنيفه لحاجات الإنسان إلى حاجات أساسية وحاجات روحية ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً .

## دافع التملك :

دافع التملك من الدوافع النفسية التى يتعلمها الإنسان ، فى الأغلب ، أثناء تنشئته الاجتماعية . فالإنسان يتعلم من الثقافة التى ينشأ فيها ، ومن خبراته الشخصية حبه لامتلاك المال والعقارات والأراضى والممتلكات المختلفة التى تشعره بالأمن من الفقر ، وتمده بالنفوذ والجاه والقوة فى المجتمع . وقد أشار القرآن فى كثير من المواضع إلى دافع التملك .

---

(١) إريك فروم : مرجع سابق ، ص ١١ .

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ »(١)

« وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا »(٢)

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. »(٣)

« اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.. »(٤)

وكان دافع التملك أحد الدافعين الهامين اللذين أثارهما إبليس في نفس آدم عليه السلام مما جعله يقع في المعصية بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الاقتراب منها .

« فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ »(٥)

وقد ذهب بعض علماء النفس مثل ماكدوجال إلى اعتبار التملك غريزة ، غير أن الدراسات الأنثروبولوجية والسيكولوجية الحديثة لا تؤيد الرأي القائل بأن التملك غريزة ، وهي تميل إلى اعتباره دافعاً نفسياً مكتسباً(٦) . وليس من الضروري أن نستنتج من وسوسة الشيطان لآدم بأنه سيدله على « ملك لا يبلى »

---

(١) آل عمران : ١٤ .

(٢) الفجر : ٢٠ .

(٣) الكهف : ٤٦ .

(٤) الحديد : ٢٠ .

(٥) طه : ١٢٠ .

(٦) انظر مناقشة هذا الموضوع في : محمد عثمان نجاتي : علم النفس في حياتنا اليومية ، ط ١١ . الكويت : دار القلم ، ١٩٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن دافع التملك فطري أو غـريزى عند آدم وأبنائه . فمن الممكن أن نفهـم أيضاً من ذلك أن إبليـس حـاول أن يثير فى نفس آدم دافعاً لم يكن مـوجوداً لديه بالفعـل في ذلك الوقـت . وبذلك يكون آدم قـد تعلم دافع التملك عـن طريق إيحاء إبليس لـه وتأثيـره فيه .

**دافع العدوان :**

يظهر دافع العدوان في سلوك الإنسان العدواني تجاه الآخرين بهدف إلحاق الأذى بهم سواء كان ذلك في صورة عدوان بدني ، أو في صورة عدوان لفظي . وقد أشار القرآن إلى دافع العدوان أثناء ذكره لقصة آدم وحواء وإغواء الشيطان لهما لإخراجهما من الجنة .

« فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ »(١)

« قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ .. »(٢)

وتشير هاتان الآيتـان إلى ما سيحدث بين الناس من ظلـم بعضهـم لبعض ، واعتداء بعضهم على بعض بسبب المنافسة ، والانسياق وراء شهواتهم ، وإغواء الشيطان لهم . ويشير القرآن أيضاً إلى دافع العدوان في الآية التالية من سورة البقرة .

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »(٣)

---

(١) البقرة : ٣٦ .

(٢) طه : ١٢٣ .

(٣) البقرة : ٣٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال الإمام فخر الدين الرازي في شرحه لهذه الآية : « ولما أوحى الله إلى الملائكة : (إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) ومعناه إذا جمعت بين الشهوة والغضب وبين العقل صار مشتملاً في الهيئة قضاء الشهوة وإمضاء الغضب ، وذلك يوجب وقوع الفساد من الشهوة . وقوله : (يسفك الدماء) من استعمال الغضب . فعند ذلك أوحى الله تعالى إليهم : (إني أعلم ما لا تعلمون) »[1] .

وإن أول عدوان حصل في حياة البشر هو عدوان ابن آدم قابيل على أخيه هابيل حينما تقبل الله تعالى قربان أخيه ولم يتقبل قربانه ، فتملكته الغيرة فقتل أخاه .

« وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ »[2]

ويشير القرآن أيضاً إلى السلوك العدواني الذي يظهر في تعبيرات لفظية من من غِيبَة ووقيعة ، أو سبّ وتهكم وسخرية ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الآيات التالية :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟

---

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي : كتاب النفس والروح وشرح قواهما ، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي ، من منشورات معهد الأبحاث الإسلامية بكراتشي ( د . ت ) ، ص ٤ .

(٢) المائدة : ٢٧ — ٣٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ » (١)

« إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ » (٢)

« زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ .. » (٣)

« ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ .. » (٤)

وقد اختلف علماء النفس والمحللون النفسيون في أمر العدوان ، هل هو دافع فطري أم مكتسب ؟ فذهب بعضهم مثل فرويد Freud ولورنز Lorenz إلى اعتباره دافعاً فطرياً . ولم يوافق كثير من علماء النفس الآخرين على اعتبار العدوان دافعاً فطرياً في الإنسان ، إذ أن ذلك يعطي فكرة سلبية ومتشائمة عن الطبيعة الإنسانية ، حيث يبدو الإنسان ، من وجهة النظر هذه ، ميالاً بفطرته إلى الشر والعدوان وإيذاء الآخرين . ولذلك يميل بعض علماء النفس الآخرين مثل فروم وماسلو إلى تأكيد النواحي الإيجابية والتعاونية والخيّرة في الطبيعة الإنسانية .

وبينت الدراسات التجريبية الحديثة أن السلوك العدواني يظهر عند الأطفال الصغار إذا قيدت حركاتهم البدنية مما يسبب لهم حالة إحباط ، فيظهر نتيجة لذلك السلوك العدواني . ثم تتعدد فيما بعد أثناء نمو الطفل أنواع العوائق التي تحدث له حالات إحباط ، مثل العوائق الاجتماعية والقانونية والاقتصادية

---

(١) آل عمران : ١١٨ .

(٢) الممتحنة : ٢ .

(٣) البقرة : ٢١٢ .

(٤) التوبة : ٧٩ . يلمزون يعني يعيبون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسياسية والنفسية . وبينت بعض الدراسات الأخرى أن الإحباط لا يؤدي بالضرورة إلى السلوك العدواني ، بل قد تظهر أنواع أخرى من السلوك مثل طلب العون والمساعدة من الآخرين ، والانسحاب ، والالتجاء إلى تعاطي الخمور والمخدرات . ويتدخل في هذا الموقف كثير من العوامل الخاصة بتربية الطفل وعلاقته بوالديه وخبراته الشخصية السابقة التي تجعل الطفل يتعلم أن يستجيب للإحباط بالسلوك العدواني . وبناء على ذلك ، فإن كثيراً من علماء النفس المحدثين يميلون إلى اعتبار أن السلوك العدواني هو ، في جزء منه ، سلوك مكتسب[1] .

وهذا الرأي الذي يقول به كثير من علماء النفس المحدثين يتفق مع ما جاء في القرآن من أن في طبيعة الإنسان استعداداً لكل من الخير والشر .

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[2]

إن اختيار الإنسان لطريق الخير والإحسان ومعاملة الناس بالحسنى ، أو لطريق الشر والظلم والعدوان إنما يرجع إلى كثير من العوامل كنوع التربية التي يتلقاها الفرد ، والظروف الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها ، وخبراته وتجاربه الشخصية . فقد يتعلم الإنسان أن يستجيب للإحباط بالسلوك العدواني ، أو بالانسحاب والانطواء ، أو قد يتعلم أن يستجيب له بالتفكير فيما يعترضه من عقبات محاولاً التغلب عليها بتعلم استجابات جديدة تكون أكثر ملاءمة للتغلب على هذه العقبات .

## دافع التنافس :

والتنافس من الدوافع النفسية التي يتعلمها الإنسان من الثقافة التي ينشأ فيها . وتقوم التربية التي يتلقاها الفرد بتوجيهه إلى النواحي التي يستحسن فيها التنافس

---

(١) Morris, Charles G.: *Psychology, An Introduction.* 3rd ed., Englewood Cliffs, New Jersey, 1979, PP. 368-370.

(٢) البلد : ١٠ . أي بينا له طريق الخير وطريق الشر ، وهيأناه للاختيار . انظر : المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ص ٩٠٨ ، وتفسير الجلالين ، ص ٥١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من أجل تقدمه ورقيه وفقاً للقيم التي يتمسك بها المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد . فقد يتعلم الفرد من الثقافة التي ينشأ فيها التنافس الاقتصادي ، أو التنافس السياسي ، أو التنافس العلمي ، أو غير ذلك من أنواع التنافس الشائعة بين الناس في مختلف الثقافات الإنسانية . وقد حث القرآن الناس على التنافس في تقوى الله ، وعمل الخيرات ، والتمسك بالقيم الإنسانية العليا ، واتباع المنهج الرباني في الحياة سواء في علاقتهم بالله سبحانه وتعالى ، أو في علاقاتهم الأسرية ، أو في علاقاتهم مع المجتمع حتى يحظوا بمغفرة الله ورضوانه ، وينعموا بدخول الجنة . قال تعالى :

« إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ »(١)

« وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ .. »(٢)

« سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ »(٣)

« .. فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ »(٤)

**دافع التدين :**

إن دافع التدين دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان . فالإنسان يشعر في أعماق نفسه بدافع يدفعه إلى البحث والتفكير لمعرفة خالقه وخالق الكون ، وإلى عبادته والتوسل إليه والالتجاء إليه طالباً منه العون كلما اشتدت به مصائب الحياة وكروبها ، وهو يجد في حمايته ورعايته الأمن والطمأنينة . نجد

---

(١) المطففين : ٢٢ – ٢٦ .
(٢) البقرة : ١٤٨ .
(٣) الحديد : ٢١ .
(٤) المائدة : ٤٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك واضحاً في سلوك الإنسان في جميع عصور التاريخ ، وفي مختلف المجتمعات الإنسانية . غير أن تصور الإنسان في المجتمعات المختلفة خلال عصور التاريخ المختلفة لطبيعة الإله ، والطريقة التي يسلكها في عبادته له قد تختلف تبعاً لمستوى تفكيره ودرجة تطوره الثقافي . غير أن هذه الاختلافات في تصور الإنسان لطبيعة الإله أو طريقة عبادته إنما هي اختلافات في طريقه التعبير عن ذلك الدافع الفطري للتدين الموجود في أعماق النفس البشرية . وتبينّ بعض آيات القرآن الكريم أن دافع التدين دافع فطري . قال تعالى :

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »[1]

في هذه الآية يذكر الله تعالى أن في فطرة الإنسان ، أي في خلقته وطبيعة تكوينه استعداداً فطرياً على إدراك بديع مخلوقات الله والاستدلال بها على وجود الله وتوحيده[2] . وقال تعالى إيضاً :

« وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ »[3]

وفي هذه الآية يبين الله تعالى أنه أخرج من صلب آدم عليه السلام وبنيه ذريتهم نسلاً بعد نسل على هيئة ذر ، وذلك قبل خلقهم في الدنيا ، وأشهدهم على أنفسهم قائلاً لهم : « ألست بربكم » فأجابوا : « بلى شهدنا » بذلك ، وقال تعالى إنه أشهدهم على ربوبيته حتى لا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا التوحيد غافلين أو غير عالمين[4] . ومن هذا يتبين أنه يوجد في طبيعة تكوين الإنسان استعداد

---

(١) الروم : ٣٠ .

(٢) تفسير القرطبي : جـ ١٤ ، ص ٢٩ ؛ تفسير الجلالين : ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) الأعراف : ١٧٢ .

(٤) تفسير ابن كثير : جـ ٢ ، ص ٢٦٢ ؛ تفسير الجلالين : ص ١١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فطري لمعرفة الله وتوحيده . فالاعتراف بربوبية الله متأصل في فطرته ، وموجود منذ الأزل في أعماق روحه . غير أن امتزاج الروح بالجسد ، وانشغال الإنسان بمطالب جسده ، وبمطالبه المختلفة التي تستلزمها حياته في الدنيا وعمارة الأرض ، قد جعل هذه المعرفة بربوبية الله ، وهذا الاستعداد الفطري للتوحيد عرضة لأن تطمره الغفلة ، ويغمره النسيان ، ويطويه اللاشعور في أعماقه . ويصبح الإنسان في حاجة إلى ما يوقظ هذا الاستعداد الفطري ، وينفض عنه غبار النسيان ، ويبعثه من أعماق اللاشعور ليظهر واضحاً جلياً في الإدراك والشعور . ويتم ذلك عن طريق تفاعل الإنسان مع الكون ، ونظره إلى عجيب خلق الله في نفسه ، وفي سائر مخلوقات الله ، وفي الكون بأسره .

وفى الحديث النبوى أيضاً ما يدل على أن فى الإنسان استعداداً فطرياً لمعرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته . فعن أبى هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« مامن مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجسانه كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تُحِسُّون فيها من جَدْعاء » . ثم قال ابو هريرة : واقرأوا إن شئتم : فطرت الله التى فطر الناس عليها »[1] .

ففى هذا الحديث يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإنسان يولد ولديه استعداد فطرى للدين الحنيف . فكما تولد البهيمة سليمة بلا تشويه أو نقص ، فكذلك يولد الطفل على الفطرة السمحاء ، وعلى الدين الحنيف ، بلا زيغ أو انحراف . ويشبه الرسول صلى الله عليه وسلم مايحدثه تأثير الوالدين البيئة الإجتماعية والثقافية التى ينشأ فيها الطفل من تأثير فى فطرته ، فتنحرف به إلى دين آخر غير الدين الحنيف ، بما يحدثه صاحب البهيمة من تشويه فى بهيمته حينما يشق أذنها أو أنفها .

ومن العوامل التي تساعد على إيقاظ وبعث دافع التدين في الإنسان ما يحيط به في بعض الحالات من أخطار تهدد حياته ، وتسد أمامه جميع سبل النجاة ، فلا يجد منها مهرباً إلا الالتجاء الى الله فيتجه اليه سبحانه وتعالى بدافع فطري

---

(١) رواه الشيخان وأبو داود والترمذى . انظر أيضاً مناقشتنا لدافع التدين فى كتابنا « الحديث النبوى وعلم النفس » ، بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٩ ، ص ٣٣ . جمعاء : كاملة الخلق لجميع أعضائها ، جدعاء : ناقصة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طالباً منه المعونة والنجدة مما يحيط به من أخطار [1] قال تعالى :

« هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ » [2]

« قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ » [3]

وكون الإنسان ، فى كل مكان ، وفى جميع عصور التاريخ ، منذ بدء الخليقة حتى الآن ، إنما يشعر في حالات الخطر التى تحدق به ، بحافز إلى الاستنجاد بقوة أسمى وأقوى وأعظم منه ، إنما يدل على أن الدين فطري في طبيعة الإنسان [4] .

## الدوافع اللاشعورية

قد يشعر الإنسان أحياناً ببعض الرغبات أو الدوافع غير المقبولة أو المثيرة لقلقه فيعمل على إبعادها من دائرة وعيه أو شعوره مما يؤدي في النهاية إلى كبتها في اللاشعور . غير أنه كثيراً ما يحدث أن يقوم الإنسان بالتعبير عن هذه الرغبات والدوافع بطريقة لا شعورية في صورة فلتات اللسان وأخطاء الكلام .

وقد أشار القرآن إلى التعبير اللاشعوري عن طريق فلتات اللسان عما يجيش

---

(١) البهى الخولى : آدم عليه السلام . فلسفة تقويم الإنسان وخلافته ، ط ٣ . القاهرة : مكتبة وهبه ، ١٩٧٤ ، ص ١٧٦ .

(٢) يونس : ٢٢ .

(٣) الأنعام : ٦٣ .

(٤) أ . كرمى موريسون : العلم يدعو إلى الإيمان . ترجمة محمود صالح الفلكى ، الطبعة الخامسة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٠٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في النفس من دوافع يحاول الإنسان كتمانها وإخفاءها ، وذلك في قوله تعالى :

« أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ۝ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ »[1]

ويروى عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال في هذا المعنى : « ما أسرّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه »[2] . وفي الحديث الشريف : « ما أسرّ أحد سريرة إلا كساه الله جلبابها إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر »[3] .

وسوف نرى فيما بعد أثناء كلامنا عن الشخصية في الفصل التاسع أن القرآن قد أشار أيضاً إلى بعض الحيل العقلية اللاشعورية كالتبرير ، والإسقاط ، وتكوين رد الفعل . ويتضح من ذلك أن القرآن قد تعرَّض للناحية اللاشعورية من سلوك الإنسان قبل دراسة فرويد مؤسس نظرية التحليل النفسي لها بأربعة عشر قرناً من الزمان .

## الصراع بين الدوافع

إذا تعارضت بعض دوافع الإنسان بأن يجذبه ، مثلاً ، دافع ما إلى اتجاه معين ، ويجذبه دافع آخر إلى اتجاه مضاد ، أحس الإنسان بحالة من الحيرة والتردد والعجز عن اتخاذ قرار في أي اتجاه يسير . وتعرف هذه الحالة بالصراع النفسي . وقد صور القرآن حالة الصراع النفسي التي يعانيها بعض الأفراد الذين

---

(١) محمد : ٢٩ ، ٣٠ .
(٢) تفسير ابن كثير : ، ص ١٨٠ .
(٣) المرجع السابق : ص ١٨٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقفون من الإيمان موقف تردد وريبة ، فلا هم يتجهون اتجاهاً تاماً إلى ناحية الإيمان ، ولا هم يتجهون اتجاهاً تاماً إلى ناحية الكفر ، ولكنهم يقفون بين الإيمان والكفر موقف المتردد العاجز عن اتخاذ قرار نهائي في هذا الأمر . قال تعالى :

« قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا .. »(١)

في هذه الآية وصف دقيق لحالة الصراع النفسي وما تسببه للفرد من حيرة وتردد . فالشياطين من جهة تستهوي الفرد وتجذبه إلى ناحية الضلال والكفر ، وأصحابه المؤمنون من جهة أخرى يدعونه إلى الهدى والإيمان ، وهو واقف بين هاتين الدعوتين في حيرة وبلبلة وتردد . ويصف القرآن أيضاً حالة التردد والحيرة والريبة والاضطراب التي تصاحب الصراع النفسي بين الكفر والإيمان في قوله تعالى :

« إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ »(٢)

« إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا »(٣)

---

(١) الأنعام : ٧١ .

(٢) التوبة : ٤٥ .

(٣) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصف القرآن أيضاً حالة الصراع النفسي التي يعانيها بعض الأفراد الذين يقفون موقف الحيرة والتردد بين أن يقاتلوا المسلمين من جهة ، وأن يقاتلوا قومهم من المشركين من جهة أخرى ، وما يسببه لهم هذا الصراع من حيرة وضيق وحرج . قال تعالى :

« إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ .. »(١)

## السيطرة على الدوافع

يتبين لنا مما سبق أن مشيئة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت وجود الدوافع الفسيولوجية في فطرة كل من الحيوان والإنسان لتحقيق الأهداف التي أرادها الله تعالى منها وهي حفظ الذات وبقاء النوع . ومن الطبيعي أن يكون إشباع هذه الدوافع أمر ضروري تقتضيه الفطرة ، وتستلزمه طبيعة تكوين كل من الحيوان والإنسان ، إذ يتوقف على إشباعها استمرار الحياة وبقاء النوع . ولذلك جاءت أحكام القرآن وأوامره في شأن هذه الدوافع متفقة مع فطرة الإنسان ، فهي تعترف بها وتقرها وتدعو إلى إشباعها في الحدود التي بيّنها الشرع . وليس في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى استقذار هذه الدوافع أو إنكارها أو يدعو إلى كبتها ، وإنما يدعو القرآن ، وكذلك تدعو السنة ، إلى السيطرة على الدوافع والتحكم فيها ، وإشباعها فقط في الحدود التي يسمح بها الشرع ، دون إسراف أو تجاوز لهذه الحدود ، وذلك لمصلحة الفرد والجماعة .

ويجب أن نفرق بين القمع والكبت . القمع هو الكفّ الإرادي لدافع أو رغبة ما ومقاومة إشباعها أو التعبير عنها في ظروف لا تسمح بإشباعها . ولكنه لا يتضمن إنكار هذه الرغبة على وجه الإطلاق ، حيث أنه من الممكن إشباعها في ظروف أخرى ملائمة ومسموح بها . أما الكبت فهو إنكار الرغبة واستقذارها

(١) النساء : ٩٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو الخوف منها ، ومحاولة إبعادها نهائياً عن دائرة الوعي تخلصاً مما تسببه من شعور بالإثم أو القلق ، بحيث ينتهي الأمر إلى كبت هذه الرغبة في اللاشعور . ففهوم الكبت يتضمن أن الرغبة أصبحت مبعدة عن دائرة الوعي أو الشعور ، وأصبحت مطمورة في أعماق اللاشعور . ووجود الرغبة في اللاشعور لا يقضي عليها نهائياً ، بل تظل تحاول التعبير عن نفسها ، ولكن بطرق وحيل لا شعورية ، مما يسبب نشوء كثير من الأعراض المختلفة لاضطرابات السلوك .

والقرآن لا يدعو إلى كبت دوافعنا الفطرية بالمعنى الذي بيناه سابقاً ، ولكنه يدعو إلى تنظيم إشباعها ، والتحكم فيها ، وتوجيهها توجيهاً سليماً تراعى فيه مصلحة الفرد والجماعة ، بحيث يصبح الفرد هو المسيطر على دوافعه ، والموجه لها ، ولا تكون دوافعه هي المسيطرة عليه والموجهة له . ويتبين رأي القرآن بوضوح في اعترافه بمشروعية إشباع الدوافع الفسيولوجية من الآيات التالية :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ »(١)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ »(٢)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ »(٣)

« .. كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ .. »(٤)

---

(١) البقرة : ١٦٨ .
(٢) البقرة : ١٧٢ .
(٣) المائدة : ٨٧ ، ٨٨ .
(٤) البقرة : ٦٠ .

« يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ » (١)

« وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ » (٢)

« وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ » (٣)

« نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ .. » (٤)

يتضح من هذه الآيات التي ذكرناها أن القرآن لايدعو الإنسان إلى إنكار دوافعه الفطرية وكبتها ، وهو بذلك يجنبه الوقوع في الصراع النفسي الذي ينشأ من إنكار الإنسان لدافعه الجنسي وقيامه بكبته مما يؤدي إلى نشوء أعراض اضطرابات السلوك . ولكن القرآن مع ذلك لايطلق العنان للإنسان لإشباع دوافعه الفطرية بلا حدود ، ولكنه يدعوه إلى تنظيم إشباعها ، والسيطرة على زمامها (٥) .

---

(١) الأعراف : ٣١ ، ٣٢ .
(٢) النور : ٣٢ .
(٣) النساء : ٣ .
(٤) البقرة : ٢٢٣ .
(٥) انظر أيضاً في هذا الصدد : محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ، ط ٣ . القاهرة : عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠ ، ص ٨٤ – ٩١ ؛ محمد قطب : منهج التربية الإسلامية ، ط ٢ . بيروت : دار الشروق ، ( د . ت ) ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ، ١٤٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا حرج على الإنسان من التمتع بإشباع دوافعه الفطرية ما دام يشبعها عن الطريق الحلال والمسموح به شرعاً . غير أن القرآن يدعو إلى نوعين من التنظيم فيما يتعلق بإشباع الدوافع الفطرية . الأول هو إشباعها فقط عن الطريق الحلال المسموح به شرعاً . والثاني هو عدم الإسراف في إشباعها .

وفيما يتعلق بالتنظيم الأول لإشباع دوافعنا الفسيولوجية وهو إشباعها فقط عن الطريق الحلال ، فالقرآن ينهانا عن إشباع دافع الجوع عن طريق الكسب الحرام ، كما ينهانا عن أكل أنواع معينة من المأكولات لما فيها من أضرار بصحة الإنسان ، كما ينهانا عن شرب الخمر لما فيها أيضاً من أضرار بصحة الإنسان البدنية والعقلية ، كما ينهانا عن إشباع الدافع الجنسي عن غير طريق الزواج لما في ذلك أيضاً من أضرار كثيرة صحية واجتماعية . وقد نظم الله تعالى للإنسان طريقة إشباع الدافع الجنسي بأن خلق الذكر والأنثى ، وجعل من حياتهما معاً في الأسرة وسيلة لإشباع الدافع الجنسي ، ولتحقيق الأمن والطمأنينة لهما بما تتضمن الحياة الأسرية للإنسان من محبة ومودة وتعاون وإيثار .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١)

﴿ .. هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ .. ﴾ (٢)

أما إذا لم تسمح ظروف الإنسان بالزواج ، فعليه أن يستعفف وأن يسيطر على دافعه الجنسي ويقمعه حتى تسمح له الظروف بالزواج (٣) .

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) البقرة : ١٨٧ .

(٣) يلاحظ ان المرضى العصابيين الذين كان يعالجهم سيجمند فرويد نشأوا في الأغلب في مجتمعات أوروبا المسيحية التي كانت في ذلك الوقت تنظر إلى الجنس باعتباره دافعاً غير مقبول ويجب كبته ، ولذلك لم يكن غريباً أن يلاحظ فرويد وجود علاقة بين كبت الدافع الجنسي وبين الأمراض العصابية . ومع ان بعض تلاميذ فرويد مثل أدلر ويونج وغيرهما من المحللين النفسيين الآخرين مثل كارن هورني وإريك فروم لم يوافقوا فرويد على اهتمامه الزائد بالغريزة الجنسية وبتفسيره للأمراض العصابية على =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ .. ﴾ (١)

وقام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضاً بحث الشباب على الزواج ، فهو الوسيلة المثلى للتغلب على الدافع الجنسى ، ومن لم يستطع منهم الزواج فقد حثهم على السيطرة على الدافع الجنسى عن طريق الصوم . فعن عبد الله بن مسعود أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وقال : « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، واحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء »(٢) .

وقد حرص القرآن على أن يعيش الشباب المسلم في مجتمع يساعد على السيطرة على دافعه الجنسى ، ولايعرضهم إلى مامن شأنه أن يثير هذا الدافع ويهيجه ، ولذلك طالب القرآن المسلمين بغض النظر ، كما طالب النساء بإخفاء زينتهن ومحاسنهن الخلقية التي قد تفتن الرجال كالشعر والعنق والصدر . وحثّ القرآن المؤمنين علي غض أبصارهم لوقايتهم من رؤية مايثير فيهم الدافع الجنسي مما قد يؤدى بهم إلى الانزلاق فى تيار الشهوات التي تدفع بهم إلى هاوية المعصية . قال الله تعالى :

---

= أساس انها ناشئة عن كبتها ، إلا أنه يجدر بنا أن نلاحظ أنه حتى ولو كانت النتائج التي وصل إليها فرويد صحيحة بالنسبة لبعض الحالات في ذلك المجتمع الذي عاش فيه فرويد ، فليس من الضروري أن تكون صحيحة أيضاً في مجتمعات أخرى تختلف في ثقافتها عن المجتمع الذي عاش فيه فرويد . ويتضح من عرضنا لموقف الإسلام من الدافع الجنسي ، وعدم إنكاره له ، وعدم النظر إليه باعتباره شيئاً مستقذراً يجب كبته ، أننا لا نتوقع أن نجد في المجتمع الإسلامي الذي يربي أطفاله تربية إسلامية سليمة ، ويشجع شبابه على الزواج المبكر ، ويتخلص من العادات والتقاليد التي تحول دون تحقيق ذلك ، إننا لا نتوقع أن نجد في مثل هذا المجتمع ضرورة لكبت الدافع الجنسي ، كما لا نتوقع أن نجد في تربية الشباب على التحكم في الدافع الجنسي والسيطرة عليه وكفه عن الإشباع حتى يحين الوقت المناسب للزواج أثراً ضاراً بالصحة النفسية إذا ما أقبل الشباب على العبادات وخاصة الصيام كوسيلة تساعد على السيطرة على الطاقة الغريزية وإعلائها ، وإذا ما توافرت لديه أيضاً وسائل الإعلاء الأخرى كالرياضة البدنية ، والإسهام في كثير من أنواع النشاط الاجتماعي المختلفة ، والإقبال على تحصيل العلوم والآداب والفنون .

(١) النور : ٣٣ .

(٢) رواه البخارى ، جـ ١٩ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٢ ، الحديث رقم ٥٠٦٥ ؛ ومسلم ، جـ ٩ ، ص ١٢٢ ؛ وأبو داود ، جـ ٢ ، الحديث رقم ٢٠٤٦ ، كما رواه الترمذى والنسائى والدارمى وأحمد . الباءة : مؤن الزواج . وجاء : صيانة ووقاية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١)

ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الخلوة بين الرجل والمرأة لأن فيها منزلقاً إلى إثارة الدافع الجنسي . كما وجه القرآن الناس إلى ضرورة التنبيه على الخدم والأطفال الذين لم يصلوا إلى مرحلة البلوغ بعدم الدخول بدون استئذان على أماكن تواجد الرجال والنساء في ثلاثة أوقات من اليوم هي : قبل صلاة الفجر ، ووقت القيلولة في الظهر ، وبعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢)

---

(١) النور ٣٠ ، ٣١ .

(٢) النور : ٥٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففي هذه الأوقات الثلاثة المذكورة في الآية يتحرر الإنسان عادة من ملابسه التي يقابل بها الناس عادة ، ويرتدي ملابس النوم والراحة مما يمكن أن يظهر من عورات الجسم ما لاينبغي أن يراه الناس . والحكمة من تحذير القرآن من دخول الخدم والأطفال بدون استئذان على الرجال والنساء في هذه الأوقات إنما هو للوقاية من اطلاعهم على مالاينبغي اطلاعهم عليه من عورات الرجال والنساء مما قد يؤدي ، فضلاً عن خدش حياء الرجال والنساء ، إلى إثارة الدافع الجنسي لدى الخدم ، واحتمال اطلاع الأطفال على عورات آبائهم وأمهاتهم ، وعلى بعض نواحي المباشرة الجنسية بينهم . وقد بينت دراسات التحليل النفسي الآثار السيئة التي تتركها في نفوس الأطفال رؤية مثل هذه الأمور [1] . كما تطالعنا الصحف من وقت إلى آخر بالمآسي التي تلحق بعض الأسر من اختلاط الخدم بالفتيات والنساء فيها بدون قيود منظمة ، ورقابة واعية . وهكذا نرى أن الإسلام يحرص على القضاء على أسباب الفتنة والغواية ، وعلى الوقاية من الوقوع فى المحظور ، ويسد جميع الطرق التي قد تؤدي إلى الوقوع في المحرمات .

أما فيما يتعلق بالتنظيم الثاني للدوافع الفسيولوجية وهو عدم الإسراف في إشباعها ، فإننا نعلم من خبرتنا الشخصية ومن الدراسات الطبية أنّ الإسراف في الأكل مضر بصحة الإنسان إذ يصيبه بالتخمة وببعض أمراض الجهاز الهضمي ، ويسبب له السمنه التي لها أضرار كثيرة على صحة الإنسان . وكذلك فإن الإسراف في شرب الماء ، والإسراف في الراحة والكسل والنوم أمر يضر بالصحة . ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن الإسراف في الأكل والشرب .

« يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ »[2]

ومن الطبيعي أن نفهم أن هذا النهي عن الإسراف ليس مقصوراً فقط على دافعي الجوع والعطش بالذات ، وإنما هو ينسحب أيضاً إلى باقي الدوافع الفسيولوجية الأخرى . وما ذكر القرآن دافعي الجوع والعطش في معرض النهي

---

(١) احمد محمد جمال : نحو تربية إسلامية . جدة : تهامة ، ١٩٨٠ ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) الأعراف : ٣١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن الإسراف إلا على سبيل المثال أو الإشارة فقط إلى الضرر الذي يلحق الإنسان من الإسراف في إشباع دوافعه الفطرية بعامة . وهذه هي إحدى خصائص أسلوب القرآن الذي يكتفي في كثير من آياته بالإيجاز والإشارة والتلميح . ولعل الاكتفاء بذكر الجوع والعطش في معرض النهي عن الإسراف في إشباع الدوافع الفطرية يرجع أيضاً إلى وضوح أهمية هذين الدافعين في حفظ الذات ، وإلى ميل الإنسان عادة إلى الإسراف في إشباعهما .

ولا يُعْنىَ القرآن بتوجيه الإنسان إلى السيطرة على دوافعه الفسيولوجية فقط ، وإنما هو يعنى كذلك بتوجيهه إلى السيطرة على دوافعه النفسية أيضاً . ففي كثير من المواضع يحثّ القرآن على السيطرة على دافع العدوان ودافع التملك . فضبط النفس ، والتحكم في أهوائها وشهواتها سواء كانت بدنية أو نفسية من الخصال التي يجب أن يتحلى بها المؤمن السوي الشخصية .

ففيما يتعلق بدافع العدوان فإن القرآن ينهى الناس عن ظلم الآخرين والعدوان عليهم سواء بدنياً أو لفظياً ، ويأمرهم بمعاملة الناس بالحسنى وباللين والمعروف .

« وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا »(١)

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ »(٢)

« .. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ .. »(٣)

---

(١) الأحزاب : ٥٨ .
(٢) المجادلة : ٩ .
(٣) المائدة : ٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« .. وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ » (١)

« .. وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ .. » (٢)

« وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » (٣)

ويدعو القرآن الناس أيضاً إلى ضبط دافع التملك ، فينهاهم عن الشُحّ ، واكتناز الأموال ، والربا ، وأكل اموال الناس بالباطل ، والسرقة ، كما يأمرهم بالإنفاق في سبيل الله ، وبالتصدق على الفقراء والمساكين ، وبإيتاء الزكاة .

« .. وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ » (٤)

« وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ

---

(١) المائدة : ٨٧ .

(٢) الأنعام : ١٥١ .

(٣) الحجرات : ٩ ـ ١١ .

(٤) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ »(١)

« فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »(٢)

« وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ »(٣)

« إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ »(٤)

« قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ »(٥)

إن من المبادئ التي يقررها الإسلام أن المال هو مال الله تعالى ، وأن كل مايرزقنا الله تعالى من مال ، فإنما يستخلفنا الله تعالى فيه . إن التسليم بهذا المبدأ الإسلامي كفيل بمقاومة شحّ الإنسان وحرصه على اكتناز المال ، وكفيل بتشجيعه على الجود والكرم وسد حاجات المحتاجين والفقراء والمساكين ، والإنفاق فى سبيل الله من مال الله تعالى الذى استخلفنا فيه .

« آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ »(٦)

---

(١) آل عمران : ١٨٠ .
(٢) التغابن : ١٦ .
(٣) المنافقون : ١٠ .
(٤) الحديد : ٧ .
(٥) ابراهيم : ٣١
(٦) الحديد : ٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى وجه عام ، فإن القرآن يدعو الإنسان إلى ضبط دوافعه والتحكم فيها وتوجيه إشباعها في إطار الحدود المشروعة دون إسراف ، فلا يكون عبداً لأهوائه وشهواته ، وإنما يكون هو المسيطر عليها والمتحكم فيها والموجه لها .

« فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ »[1]

ونهيُ النفس عن الهوى هو ضبط الإنسان لدوافعه ، وكفُّه لشهواته ، وسيطرته عليها .

ويدعو القرآن الإنسان إلى أن يوازن بين متطلبات بدنه في حياته اليومية التي تلح عليه لإشباعها ، ومتطلبات روحه المتشوقة إلى الله تعالى ، والمتطلعة إلى النعيم في الحياة الآخرة . فعلى الإنسان أن يلبي حاجاته البدنية ويشبع دوافعه الفطرية لكي يعيش ويبقى ويعمر الأرض ويؤدي رسالته في الحياة التي خلقه الله تعالى لها . ولكن يجب على الإنسان أيضاً أن يلبي متطلباته الروحية من الاعتراف بربوبية الله وعبادته واتباع المنهج الذي رسمه الله تعالى له في الحياة لكي ينعم بمغفرته ورضوانه في الحياة الآخرة . إن الإنسان مطالب بأن يجد ويجتهد في تحقيق هذا التوازن بين متطلبات الجسم ومتطلبات الروح ، بين متطلبات الحياة الدنيوية ومتطلبات الحياة الآخرة ، لأن في ذلك خلاصاً من الصراع النفسي الذي يصيب الإنسان بالقلق ، ويحرمه من نعمة الأمن والطمأنينة والسعادة .

« وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا .. »[2]

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ »[3]

---

(١) النازعات : ٣٧ ـ ٤١ .
(٢) القصص : ٧٧ .
(٣) المنافقون : ٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتضح دعوة القرآن للإنسان إلى ضبط دوافعه والتحكم فيها والعمل على إعلائها والتسامي بها وتوجيهها إلى ما يرضي الله تعالى وما فيه خير الفرد والمجتمع والإنسانية ، من أن القرآن حينما ذكر في سورة آل عمران بعض الدوافع التي يهتم الناس عادة بإشباعها في حياتهم الدنيوية ، ذكر بعدها مباشرة أن تقوى الله أفضل للإنسان من الانغماس في إشباع هذه الدوافع في الحياة الدنيوية لأن التقوى ستحقق لهم التمتع برضوان الله ونعيمه في الآخرة .

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ »(١)

في هاتين الآيتين دعوة صريحة إلى الناس لضبط دوافعهم وإعلائها والتسامي بها عن طريق تقوى الله وابتغاء مرضاته . وجاء في القرآن في هذا المعنى أيضاً :

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا »(٢)

« اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ »(٣)

---

(١) آل عمران : ١٤ ، ١٥ .
(٢) الكهف : ٤٦ .
(٣) الحديد : ٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذه الآيات تنبيه للإنسان إلى أن ما في الحياة الدنيا من لعب ولهو وزينة وتفاخر بكثرة الأموال والبنين إنما مصيره إلى زوال كما يزول النبات الذي يذبل ويبس وتعصف به الرياح ، وأن ما يبقى هو عمل الإنسان . فإن من آثر الحياة الدنيا على الآخرة وكان كل همه في حياته الدنيا الإنشغال بإشباع دوافعه وشهواته وتحصيل اللذات فقط ، وغفل عن طاعة الله وعبادته ، فمصيره في الآخرة عذاب شديد . وأما من لم يغفل في حياته الدنيوية عن طاعة الله وعبادته ، وعمل الصالحات ، وتحكم في أهوائه وشهواته فجزاؤه مغفرة من الله ورضوان . وجاء في القرآن أيضاً في هذا المعنى :

« وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »[1]

## انحراف الدوافع

إذا فشل الإنسان في ضبط دوافعه والتحكم فيها ، فأسرف في إشباعها ، وانغمس في لذاتها ، وجعل الحصول على لذة الإشباع هدفاً في ذاته ، انحرفت الدوافع عن اهدافها الحقيقية ، فلم تعد بعد وسيلة لاستمرار حياة الفرد وبقاء النوع ، وإنما أصبحت غاية في ذاتها ، ولم يعد الإنسان هو المسيطر عليها والمتحكم فيها ، وإنما أصبحت هي المسيطرة عليه والمتحكمة فيه . وانحراف الدوافع وسيطرتها على الإنسان قد يحدث بالنسبة لكل من الدوافع الفسيولوجية والنفسية على السواء . ومن أهم دوافعنا الفسيولوجية المعرضة للانحراف الدافع الجنسي . وقد ذكر القرآن نوعاً شائعاً من الانحراف الجنسي وهو الجنسية المثلية التي مارسها قوم لوط . ويتضح مما قاله القرآن عن هذا الانحراف الجنسي أنه ظهر لأول مرة في تاريخ البشرية بين قوم لوط .

« وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ

(١) الأنعام ٣٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ »[1]

« أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ »[2]

ومن الانحرافات الشائعة في دوافعنا النفسية ما نشاهده لدى بعض الناس من الحب الشديد للمال ، وتلهفهم على امتلاكه واكتنازه . والمال في الأصل هو مال الله تعالى استخلفنا فيه لإنفاقه في سبيله ، وفيما يرضيه ، وفيما يحقق إعمار الأرض وتقدم الإنسانية . غير أن بعض الناس يجعلون تملك المال هدفاً في ذاته ، فيقومون باكتنازه ولا ينفقونه في سبيل الله وفيما يفيد الناس ويساعد على تقدم البشرية .

وعلى وجه عام ، فإن الإسراف في إشباع الدوافع ، وعجز الإنسان عن ضبطها والتحكم فيها يؤدي إلى انحراف هذه الدوافع عن أهدافها الحقيقية في استمرار حياة الفرد وبقائه وتحقيق خيره وخير المجتمع . فالإسراف في العدوان ، مثلاً ، بحيث يصبح الإنسان ميالاً في علاقاته مع الناس إلى العدوان والظلم انحراف . والإسراف في التنافس بحيث يصبح الهدف الرئيسي للإنسان في الحياة هو التفوق على الغير والسيطرة عليهم بدنياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو عسكرياً إنما هو انحراف . والإسراف في طلب الراحة والخمول والكسل ، والتمتع بنعيم الحياة وملاذها ، بحيث يصبح الهدف الرئيسي للإنسان هو أن يحيا حياة دعة وترف وخمول دون أي شعور بالمسؤولية تجاه أفراد المجتمع الذي يعيش فيه ، والتعاون معهم ، وتقديم يد العون والمساعدة إليهم ، إنما هو انحراف . والاعتدال في إشباع الدوافع ، وعدم الإسراف في إشباعها وقاية للإنسان من الانحراف . فخير الأمور الوسط .

---

(١) الأعراف : ٨٠ ، ٨١ .

(٢) الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1]

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2]

---

(١) الفرقان : ٦٧ .

(٢) الإسراء : ٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## الفصل الثاني

# الانفعالات في القرآن

اقتضت حكمة الله تعالى أن يزوّد الإنسان والحيوان كذلك بانفعالات تعينهما أيضاً على الحياة والبقاء . فانفعال الخوف ، مثلاً ، يدفعنا إلى تجنب الأخطار التي تهدد حياتنا . وانفعال الغضب يدفعنا إلى الدفاع عن النفس ، والى الصراع من أجل البقاء . وانفعال الحب هو أساس تآلف الجنسين وانجذاب كل منهما إلى الآخر من أجل بقاء النوع .

وهناك علاقة كبيرة بين الدوافع والانفعالات . فالدوافع تكون عادة مصحوبة بحالة وجدانية انفعالية . فحينما يشتد الدافع ويعاق عن الإشباع فترة من الزمن تحدث في الجسم حالة من التوتر . وتصاحب ذلك عادة حالة وجدانية مكدِّرة . وإشباع الدافع يكون مصحوباً بحالة وجدانية سارة . ثم إن الانفعال يقوم بتوجيه السلوك مثل الدافع . فانفعال الخوف يدفع الإنسان إلى الهرب من الخطر ، وانفعال الغضب يدفعه إلى الدفاع عن النفس ، وقد يدفعه إلى العدوان ، وانفعال الحب يدفعه إلى التقرب من موضوع حبه .

وجاء في القرآن الكريم وصف دقيق لكثير من الانفعالات التي يشعر بها الإنسان مثل الخوف ، والغضب ، والحب ، والفرح ، والكره ، والغيرة ، والحسد ، والندم ، والحياء ، والخِزْي . وسوف نتناول ما جاء في القرآن عن هذه الانفعالات فيما يلي :

## الخوف

انفعال الخوف من الانفعالات الهامة في حياة الإنسان ، لأنه ، كما أشرنا من قبل ، يعينه على اتقاء الأخطار التي تهدده مما يساعده على الحياة والبقاء . وقد سبق أن أشرنا أثناء كلامنا عن دافع الجوع في الفصل السابق أن القرآن ذكر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في بعض آياته الأمن من الخوف مقروناً بإشباع دافع الجوع مما يشير إلى أهمية كل من دافع الجوع وانفعال الخوف في حياة الإنسان . وقد ذكرنا هذه الآيات أثناء كلامنا عن دافع الجوع[1] .

وليست فائدة الخوف مقصورة فقط على وقاية الإنسان من الأخطار التي تهدده في حياته الدنيوية ، وإنما من أهم فوائده أيضاً أنه يدفع المؤمن إلى اتقاء عذاب الله في الحياة الآخرة . فالخوف من عقاب الله يدفع المؤمن إلى تجنب الوقوع في المعاصي ، والى التمسك بالتقوى والانتظام في عبادة الله وعمل كل ما يرضيه .

« إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »[2]

« تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ »[3]

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ »[4]

وانفعال الخوف حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله . وقد وصف القرآن هذا الاضطراب بالزلزال الشديد الذي يهز الإنسان هزاً شديداً ، فيفقده القدرة على التفكير والسيطرة على النفس .

---

(١) انظر الآيات في ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢) الأنفال : ٢ .

(٣) السجدة : ١٦ .

(٤) الحج : ١ ، ٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا »(١)

وإذا كان الخوف شديداً ومفاجئاً انتابت الإنسان حالة من الذهول لفترة من الوقت لا يستطيع فيها الحركة أو التفكير . وقد أشار القرآن إلى حالة الذهول التي يسببها الخوف الشديد المفاجيء أثناء وصفه ليوم القيامة .

« بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ »(٢)

وحينما يحدق الخطر الشديد بالإنسان ويتملكه الخوف فإن كل اهتمامه يتركز في هذا الخطر المحدق به وفي محاولته النجاة بنفسه منه ، وينصرف اهتمامه عن أي شيء آخر .

« فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ »(٣)

وتصاحب انفعال الخوف تغيرات كثيرة تحدث في الوظائف الفسيولوجية الحشوية ، وفي ملامح الوجه ، ونبرات الصوت ، وهيئة البدن . وسوف نتناول هذه التغيرات الفسيولوجية والبدنية المصاحبة للانفعال فيما بعد .

ويستجيب الإنسان عادة لمواقف الخطر التي تهدده وتثير فيه انفعال الخوف بالابتعاد عنها والهرب منها . وقد وصف القرآن استجابة الإنسان بالهرب من المواقف المهددة بالخطر والمثيرة للخوف أثناء وصفه للكافرين من الأقوام السابقة الذين حلّ بهم عذاب الله بسبب تكذيبهم لأنبيائهم وإصرارهم على الكفر ،

---

(١) الأحزاب : ١٠ ، ١١ . نزلت هذه الآيات أيام موقعة الخندق .

(٢) الأنبياء : ٤٠ .

(٣) عبس : ٣٣ - ٣٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتملكهم الذعر ، وسارعوا إلى الفرار محاولين الهرب من العذاب .

« وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ »[1]

ووصف القرآن خوف المنافقين ورغبتهم في الهرب من المؤمنين بقوله :

« وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ »[2]

وذكر القرآن في وصف خوف موسى عليه السلام من فرعون وهربه منه :

« فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ .. »[3]

« فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ »[4]

ووصف القرآن أيضاً خوف موسى عليه السلام حينما رأى عصاه تنقلب إلى حية فولّى هارباً .

« وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ »[5]

## أنواع الخوف :

إن الأشياء التي يخافها الإنسان كثيرة . وقد ذكر القرآن بعض مخاوف الإنسان الهامة مثل الخوف من الله ، والخوف من الموت ، والخوف من الفقر .

---

(١) الأنبياء . ١١ ، ١٢ .
(٢) التوبة : ٥٦ ، ٥٧ .
(٣) الشعراء : ٢١ .
(٤) القصص : ٢١ .
(٥) النمل : ١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والخوف من الله خوف هام في حياة المؤمن ، فهو يدفعه دائماً إلى تقوى الله واسترضائه ، واتباع منهجه ، وترك ما نهى عنه ، وفعل ما أمر به . ويعتبر لخوف من الله ركناً في الإيمان به ، وأساساً هاماً في تكوين شخصية المؤمن [1] .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ » [2]

« إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا » [3]

« قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » [4]

« . . يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ » [5]

« إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا » [6]

ومن أنواع الخوف الشائعة بين الناس الخوف من الموت . وقد أشار القرآن إلى خوف الناس من الموت بقوله :

« قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ .. » [7]

و يبدو الخوف من الموت واضحاً في حالات الحروب ، وخاصة بين الجنود

---

(١) محمد الغزالي : الجانب العاطفي من الإسلام . بحث في الخلق والسلوك والتصوف . القاهرة : دار الكتب الحديثة ( د . ت ) ، ص ٢٥٢ – ٢٥٩ .

(٢) البينة : ٧ ، ٨ .

(٣) الأنفال : ٢ .

(٤) الزمر : ١٣ .

(٥) النور : ٣٧ .

(٦) الإنسان : ١٠ .

(٧) الجمعة : ٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذين يرسلون إلى ميدان القتال . وجاء في القرآن في وصف خوف المنافقين من القتال :

« فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا »[1]

« وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ »[2]

والخوف من الموت شائع بين الناس عامة لم يسلم منه حتى نبي الله موسى عليه السلام ، فقد خاف أن يقتله فرعون كما ذكر القرآن على لسان موسى عليه السلام .

« وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ »[3]

« قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ »[4]

والإيمان الصادق بالله يؤدي إلى التخلص من الخوف من الموت ، لأن المؤمن يعلم يقيناً أن الموت سينقله إلى الحياة الآخرة الخالدة التي ينعم فيها برحمة الله ورضوانه . وإن كان المؤمن يشعر بخوف من الموت فإنما هو في الحقيقة يخشى ألاّ يحظى بمغفرة الله ، وألاّ ينال رحمته ورضوانه . ولا شك أن الخوف من الموت يكون شديداً على العاصين الذين يخشون أن يحل بهم الموت قبل أن يتوبوا . فالخوف من الموت ، إذن ، إنما يرجع في الحقيقة إلى أنه يكون مانعاً

---

(١) النساء : ٧٧ .

(٢) محمد : ٢٠ .

(٣) الشعراء : ١٤ .

(٤) القصص : ٣٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من التوبة[1] . وعلى ذلك ، فإن الخوف من الموت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخوف من الله الذي تكلمنا عنه سابقاً .

« وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ »[2]

« قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ »[3]

والملحدون الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالحياة الآخرة فإنهم يخافون من الموت لاعتقادهم أن الموت انحلال لذواتهم وفناء وعدم لها ، ولذلك فهم يجزعون لهذا المصير الذي سينتهون إليه[4] . وقد يخاف بعضهم الموت لأنهم لا يعرفون إلى أي مصير مجهول سيؤدي بهم الموت . فإن جهلهم بالمصير الذي سينتهون إليه هو في الحقيقة ما يخيفهم ويفزعهم .

والخوف من الفقر أيضاً من المخاوف الشائعة بين الناس . فالإنسان دائم السعي في حياته لكسب قوته وقوت زوجه وأولاده ، ولكي يهيىء لنفسه ولأسرته أسباب الحياة الهانئة الآمنة . ويتحمل الإنسان عادة في سبيل كسب رزقه كثيراً من الجهد والتعب والمشقة ، وإن أي خطر يمكن أن يهدده في رزقه يثير فيه الخوف والفزع . وكان بعض العرب قبل الإسلام يقتلون أولادهم خشية الفقر ، فنهاهم القرآن عن ذلك ، وأخبرهم بأن رزقهم ورزق أولادهم بيد الله .

---

(١) محمد علي التسخيري : التوازن في الإسلام . بيروت : الدار الإسلامية ، ١٩٧٩ ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) المنافقون : ١٠ .

(٣) الجمعة : ٦ ، ٧ .

(٤) يوسف القرضاوي : الإيمان والحياة ، ط ٦ . القاهرة . مكتبة وهبة ، ١٩٧٨ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا »[1]

« .. وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ .. »[2]

ومن شأن الإيمان بالله أن يقضي على الخوف من الفقر . فالمؤمن الصادق الإيمان يعلم يقيناً أن الرزق بيد الله ، فلا داعي إذن للخوف من الفقر .

« إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ »[3]

« وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ »[4]

والخوف من الناس من المخاوف الشائعة أيضًا بين كثير من الناس . فكثير من الناس يخافون أن يبطش بهم الأقوياء وذوو النفوذ والسلطان ، والطغاة والظالمون . وقد أشار القرآن إلى خوف موسى وهارون عليهما السلام من بطش فرعون . قال تعالى :

« قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ »[5]

إن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف الناس ، فهو يعلم أن الناس لا يستطيعون أن يضروه إلا بما كتب الله عليه ، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس :

« . . . . اعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلاّ بشئ قد كتبه الله لك . ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلاّ بشئ قد كتبه الله عليك . . . الحديث »[6].

---

(١) الإسراء : ٣١ .

(٢) الأنعام : ١٥١ .

(٣) الذاريات : ٥٨ .

(٤) الذاريات : ٢٢ .

(٥) طه : ٤٥ . الفرْط : تجاوز الحد .

(٦) رواه أحمد بن حنبل ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الخوف الحقيقي ، إذن ، الذى يشعر به المؤمن هو الخوف من الله [1] . لأن إيمانه بالله لا يجعله يخاف الموت ، أو الفقر ، أو الناس ، أو أى شيء آخر فى العالم ، وإنما هو يخاف فقط من غضب الله وسخطه وعذابه .

ويؤدي الخوف من الله وظيفة هامة ومفيدة في حياة المؤمن ، إذ يجنبه ارتكاب المعاصي ، فيقيه بذلك من غضب الله وعذابه ، ويحثه على آداء العبادات والقيام بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله . فالخوف من الله يؤدي ، في نهاية الأمر ، إلى تحقيق الأمن النفسي ، إذ يغمر المؤمن شعور الرجاء في عفو الله تعالى ورضوانه .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ » [2]

## الغضب

الغضب انفعال هام يؤدي وظيفة هامة للإنسان حيث أنه يساعده على حفظ ذاته . فحينما يغضب الإنسان تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلي العنيف [3] مما يمكنه من الدفاع عن النفس أو التغلب على العقبات التي تعوقه عن تحقيق أهدافه الهامة . وقد نوّه القرآن باستخدام الشدة مع الكفار الذين يقاومون انتشار الإسلام ، وهي شدة نابعة من الغضب في سبيل الله وفي سبيل نشر دعوته ، فقال في وصف الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين :

« مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ .. » [4]

---

(١) محمد على التسخيرى : مرجع سابق ، ص ٦١ .

(٢) فصلت : ٣٠ .

(٣) يحدث أثناء انفعال الغضب ، والانفعالات الأخرى بعامة ، كثير من التغيرات الفسيولوجية التى من بينها إفراز هرمون الأدرينالين الذى يؤثر على الكبد ويجعله يفرز كميات زائدة من السكر مما يسبب زيادة الطاقة فى الجسم ويجعله متهيئًا لبذل المجهودات العنيفة التى يتطلبها الدفاع عن النفس أثناء الغضب ، أو الجرى أثناء الخوف .

(٤) الفتح : ٢٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأمر الله تعالى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن معه من المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار وأن يغلظوا عليهم . والقتال والغلظة ينبعثان من الغضب فى سبيل نشر دعوة الإسلام . قال الله تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ »(١)

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ »(٢)

وقد جاء في القرآن وصف لانفعال الغضب وتأثيره في سلوك الإنسان ، نجد ذلك فيما ذكره القرآن عن غضب موسى عليه السلام حينما عاد إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل الذي صنعه لهم السامرىّ من الذهب فألقى الألواح وأمسك برأس أخيه يجره إليه معاتباً .

« وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ »(٣)

« قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى »(٤)

---

(١) التوبة : ١٢٣ .
(٢) التحريم : ٩ .
(٣) الأعراف : ١٥٠ .
(٤) طه : ٩٢ ـ ٩٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويميل الإنسان إلى أن يستجيب لانفعال الغضب بتوجيه العدوان إلى العقبات التي تعوق إشباع دوافعه أو تحقيق أهدافه ، سواء كانت هذه العقبات أشخاصاً ، أو عوائق مادية ، أو قيوداً اجتماعية . غير أن كثيراً ما يحدث ان يُنقل الغضب أو يُحوّل إلى أشخاص آخرين لم يكونوا هم في الحقيقة العقبة التي حالت دون تحقيق أهداف الإنسان ، أولم يكونوا هم السبب الحقيقي في إثارة انفعال الغضب . فقد يغضب الطفل ، مثلاً ، من أبيه فينقل غضبه إلى أخيه الأصغر فيضربه لأتفه الأسباب . وتعرف هذه العملية بالنقل[1] . وقد ورد في القرآن مثال لنقل الغضب فيما قام به موسى عليه السلام حينما غضب من قومه لعبادتهم العجل ، ولكنه وجه غضبه لأول وهلة إلى أخيه هارون عليه السلام ، فأمسك برأسه ولحيته يجره إليه غاضباً .

وقد يحدث أحياناً أن يغضب الإنسان من شخص ما ، ولكنه في الوقت نفسه يخشى أن يظهر غضبه نحوه لما يمكن أن يلحق به من عقاب . وفي مثل هذه الحالات قد ينقل الغضب أيضاً فيتجه إلى أشخاص آخرين ، أو إلى أشياء مادية فيقوم بتحطيمها ، أو قد يتجه إلى ذاته هو نفسه فيقوم ببعض السلوك العدواني الموجه إلى ذاته . وذكر القرآن مثالاً واقعياً يوضح عملية نقل العدوان وتوجيهه إلى الذات بدلاً من توجيهه إلى الشخص المثير للغضب في الحقيقة ، وذلك حينما وصف القرآن المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين . وحينما يعض الإنسان أنامله من الغيظ ، فهو إنما يوجه العدوان إلى نفسه ويقوم بإيذائها – ولو بشكل رمزي – بدلاً من توجيه العدوان إلى الآخرين وإيذائهم .

« هَـٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ »[2]

---

(١) Displacement

(٢) آل عمران . ١١٩ . وفي المعجم الوسيط : « ( غاظه ) غيظاً : أغضبه أشد الغضب » ، جـ ٢ ، ص ٦٦٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحينما يتملك انفعال الغضب الإنسان تتعطل قدرته على التفكير السليم ، وقد تصدر عنه بعض الأفعال أو الأقوال العدوانية التي قد يندم عليها فيما بعد حينما يهدأ غضبه . وقد رأينا فيما ذكرناه سابقاً من الآيات التي تصف غضب موسى عليه السلام أنه القى الألواح وأمسك برأس أخيه ولحيته وجره إليه غاضباً ومعاتباً ظناً منه أنه قصر في نهيهم عما فعلوا من عبادة العجل . فلما زال غضبه وعاد إلى هدوئه وعرف أنه نهاهم عن ذلك ولكنهم استضعفوه وكادوا يقتلونه ، استغفر الله على ما فعل بأخيه قبل أن يعرف حقيقة ما حدث .

« قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ »[1]

ولما كان الإنسان يفقد القدرة على التفكير السليم أثناء ثورة الغضب ، وفي أثناء الانفعالات الشديدة بعامة ، فإنه يجدر بالإنسان أن يمتنع في أثناء ثورة الغضب عن القيام بأفعال قد يندم عليها فيما بعد ، كما يجب عليه ان يتعلم كيف يسيطر على غضبه . وتتضح من ذلك الحكمة في توصية الله تعالى للناس بالتحكم في انفعال الغضب ، وكظم الغيظ ، كما سنتعرض لذلك فيما بعد عند كلامنا عن السيطرة على الانفعالات .

## الحب

يلعب الحب دوراً هاماً فى حياة الإنسان . فهو أساس الحياة الزوجية ، وتكوين الأسرة ورعاية الأبناء ، وهو أساس التآلف بين الناس وتكوين العلاقات الإنسانية الحميمة ، وهو الرباط الوثيق الذى يربط الإنسان بربه ويجعله يخلص فى عبادته ، وفى اتباع منهجه ، والتمسك بشريعته . وهو العلاقة الروحية العميقة الجذور التى تربط المسلمين بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والتى تدفعهم إلى التمسك بسنته ، واتباع تعاليمه وأوامره ، واتخاذه مثلاً أعلى يقتدون به فى جميع أفعاله .

ويظهر الحب فى حياة الإنسان فى صور مختلفة . فقد يحب الإنسان ذاته ، ويحب

---

(١) الأعراف : ١٥١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناس ، ويحب زوجته وأولاده ، ويحب المال ، ويحب الله والرسول ، ويحب الكون كله بما فيه من مخلوقات الله تعالى : إن حب المؤمن الكامل الإيمان حب عام شامل ، يسع الكون كله . ونجد فى القرآن ذكراً لهذه الأنواع المختلفة من الحب .

حب الذات[1] :

يرتبط حب الذات ارتباطاً وثيقاً بدوافع حفظ الذات . فالإنسان يحب أن يحيي وينمي إمكاناته ويحقق ذاته ، ويحب كل ما يجلب له الخير والأمن والسعادة . وهو يكره كل ما يعوقه عن الحياة والنمو وتحقيق الذات ، وكل ما يجلب له الألم والأذى والضرر . وقد عبر القرآن عن هذا الحب الفطري في الإنسان لذاته ، وميله إلى طلب كل ما يفيدها وينفعها ، وتجنُّب ما يضرها ويسوؤها ، وذلك حينما ذكر على لسان النبي عليه الصلاة والسلام أنه لو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير لنفسه ، ولدفع عنها السوء والأذى .

« .. وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ .. »[2]

ومن مظاهر حب الإنسان لذاته حبه الشديد للمال الذي يستطيع أن يحقق به جميع رغباته ، وأن يهيِّيء لنفسه جميع أسباب الراحة والرفاهية في الحياة . وقد ذكر القرآن حبّ الإنسان الشديد للمال .

« وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ »[3]

ومن مظاهر حب الإنسان لذاته أيضاً انه دائم الدعاء للخير لنفسه من مال وصحة وغير ذلك من خيرات الحياة ونعمها ، وإذا أصابه سوء أو بلاء أو فقر

---

(١) إن حب الله تعالى هو أسمى أنواع الحب الإنسانى ، ولذلك فقد يبدو أنه كان من الأولى أن نبدأ بالكلام عنه . غير أننى اتبعت هنا فى عرض أنواع الحب التطور الطبيعى لظهورها فى حياة الإنسان . فالطفل يحب أولاً ذاته ، ثم يحب أمه وأباه والناس الآخرين المحيطين به ، ثم يبدأ فى مرحلة المراهقة وربما قبلها فى حب الجنس الآخر . وحينما ينضج تفكيره ويفهم حقيقة الدين ومعنى الألوهية يبدأ فى حب الله تعالى وحب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(٢) الأعراف : ١٨٨ .

(٣) العاديات : ٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تملكه اليأس الشديد وظن أنه لن يتهيأ له بعد ذلك خير .

« لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ »(١)

ومن مظاهر حب الإنسان لذاته أيضاً أنه إذا أصابه بلاء أو أذى انتابه الجزع والهلع على ما حلّ به ، ويئس من الخير ، وكفر بنعم الله السابقة عليه ، وجحد بها . وإذا أصاب سعة في المال فرح به وبطر وحرص عليه حرصاً شديداً ، وامتنع عن التصدق بجزء منه على الفقراء والمحتاجين .

« إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا »(٢)

وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ »(٣)

غير أن حب الإنسان لذاته يجب ألا يتجاوز حدوداً معينة ، ، ومن الضروري أن يُعادل بحب الناس وحب الخير لهم .

**حب الناس :**

عندما ينمو الطفل ويأخذ فى التفاعل مع غيره من الأطفال والكبار الذين من حوله ، يأخذ جزء من حبه يتعلق بهم . ويأخذ هذا الحب يزداد بالتدريج ، كلما ازدادت علاقات الطفل بالناس وتنوعت . ويتعلم الطفل بالتجربة أنه لكى يستطيع أن يعيش فى تآلف وانسجام مع الناس الآخرين ، يجب عليه أن يحد من حبه لذاته وأنانيته ، وأن يعمل على موازنته بحبه للناس الآخرين ومودته لهم ، والتعاون معهم ، وتقديم يد المعونة إليهم . ويساعد التديّن على عدم الإفراط فى حب الإنسان لذاته ، وعلى حب الناس الآخرين وحسن معاملتهم . وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقة حينما

---

(١) فصلت : ٤٩ .
(٢) المعارج : ١٩ ـ ٢١ .
(٣) الشورى : ٤٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أشار إلى حب الإنسان لنفسه الذى يظهر فى هلعه وجزعه إذا مسّه الشر ، وحرصه على ما يناله من الخير وبخله به ومنعه عن الناس ، ثم أثنى سبحانه وتعالى بعد ذلك مباشرة على من يقاوم الإسراف فى حبه لذاته ، ويتخلص من مظاهر الهلع والجزع إذا مسه شر ، ومن البخل إذا ناله خير ، وذلك عن طريق التمسك بالإيمان ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والتصدق على الفقراء والمساكين والمحرومين ، والابتعاد عما يبغض الله ، فإن من شأن هذا الإيمان أن يوازن بين حب الإنسان لنفسه وحبه للناس بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة .

« إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّـهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ »(١)

ويشيد القرآن بالمحبة والتآلف بين الناس ، وبتعاونهم وتماسكهم وتآخيهم .

« وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا .. »(٢)

« .. هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »(٣)

وأثنى القرآن على الأنصار لما أظهروه من محبة صادقة للمهاجرين من المسلمين ، ولتقديمهم يد العون إليهم إذ آووهم وشاركوهم في مساكنهم وأموالهم ، وآثروهم على أنفسهم .

---

(١) المعارج : ١٩ – ٢٧ .
(٢) آل عمران : ١٠٣ .
(٣) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »[1]

ويدعو القرآن المؤمنين إلى أن يحب كل منهم الآخر كما يحب الأخ اخاه . وفي ذلك توجيه للإنسان إلى عدم الإسراف في حبه لنفسه ، وتوجيه له إلى حب إخوانه في الإيمان مما من شأنه أن يعادل حبه لنفسه ، ويحدّ من شدته .

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ »[2]

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .. »[3]

وعن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تُؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[4] . وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « والذي نفسي بيده ، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه »[5] .

**الحب الجنسي :**

يرتبط الحب بالدافع الجنسي ارتباطاً وثيقاً ، فهو الذي يعمل على استمرار التآلف والانسجام والتعاون بين الزوجين ، وهو أمر ضروري لاستمرار الحياة الأسرية .

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم

---

(١) الحشر : ٩ .

(٢) الحجرات : ١٠ .

(٣) التوبة : ٧١ .

(٤) الحديث رقم ٤٢ من مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ، تحقيق ناصر الدين الألباني ، ط ٣ . بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٧٧ .

(٥) الحديث رقم ٢٤ ، المرجع السابق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »[1]

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ..»[2]

وأشار القرآن أيضاً إلى الحب الجنسي أثناء ذكره لقصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز .

« وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »[3]

« قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ »[4]

وقد سبق أن بينا أثناء كلامنا عن الدافع الجنسي في الفصل السابق الخاص بدوافع السلوك في القرآن ، أن الإسلام يعترف بالدافع الجنسي ولا ينكره ، وهو بطبيعة الحال يعترف بالحب الجنسي المصاحب له لأنه انفعال فطري في طبيعة الإنسان لا ينكره الإسلام ، ولا يحقره ولا يكبته ، ولكن الإسلام يدعو فقط إلى السيطرة على هذا الحب والتحكم فيه وذلك عن طريق إشباعه بالطريق المشروع وهو الزواج .

**الحب الأبوي :**

تكلمنا في الفصل الأول عن دافع الأمومة كأحد الدوافع الفسيولوجية ، إذ يوجد أساس فسيولوجي لدافع الأمومة هو التغيرات الفسيولوجية والبدنية

---

(١) الروم : ٢١ .
(٢) آل عمران : ١٤ .
(٣) يوسف : ٣٠ .
(٤) يوسف : ٣٢ ، ٣٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التي تحدث في الأم أثناء الحمل والولادة والرضاعة . وتربط هذه التغيرات الفسيولوجية والبدنية الأم بوليدها برباط قوي يظهر واضحاً في دافع الأمومة الذي يتميز بحب الأم لأولادها ، وحنوها عليهم ، ورعايتها لهم ، مما سبق أن أشرنا إليه أثناء كلامنا عن دافع الأمومة .

ولما كان الأب لا يرتبط بأبنائه بمثل هذه الارتباطات الفسيولوجية التي تربط الأم بأبنائها ، فإن علماء النفس المحدثين لا يعتبرون دافع الأبوة دافعاً فسيولوجياً كدافع الأمومة ، ولكنهم يعتبرونه دافعاً نفسياً . ويظهر دافع الأبوة واضحاً في حب الآباء لأبنائهم ، فهم مصدر متعة وسرور لهم ، ومصدر قوة وجاه ، وعامل هام في استمرار دور الأب في الحياة ، وفي بقاء ذكراه بعد موته . يتضح ذلك من دعاء زكريا عليه السلام ربه أن يهبه غلاماً يرثه ويرث آل يعقوب .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا »[1]

ويلاحظ أن حب البنين جاء في القرآن مقروناً بحب المال في كثير من الآيات ، فكل من البنين والمال من أسباب القوة والمتعة للإنسان .

« الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. »[2]

« ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا »[3]

« وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا »[4]

---

(١) مريم : ٤ - ٦ .
(٢) الكهف : ٤٦ .
(٣) الإسراء : ٦ .
(٤) نوح : ١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا »[1]

وأشار القرآن إلى الحب الأبوي أثناء ذكره لقصة نوح عليه السلام ، وما كان يكنه من حب لابنه حينما ناداه في عطف ومحبة وحنان مطالباً له ركوب السفينة لينجو من الغرق .

« .. وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ »[2]

كما يظهر ذلك الحب أيضاً في دعاء نوح عليه السلام لله تعالى أن ينجي ابنه .

« وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ »[3]

ويظهر الحب الأبوي واضحاً أيضاً في حب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام وأخيه الأصغر ، مما جعل إخوته يغارون منهما ويحقدون عليهما .

« إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ »[4]

ويظهر هذا الحب الأبوي أيضاً حينما عارض يعقوب ـ عليه السلام ـ في أول الأمر ذهاب يوسف ـ عليه السلام مع اخوته خوفاً عليه .

« قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ »[5]

---

(١) المدثر : ١١ – ١٣ .
(٢) هود : ٤٢ .
(٣) هود : ٤٥ .
(٤) يوسف : ٨ .
(٥) يوسف : ١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويظهر الحب الأبوي أيضاً بوضوح من بكاء يعقوب ـ عليه السلام ـ حزناً وأسفاً على ابنه يوسف ـ عليه السلام ـ حتى فقد بصره .

﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1]

ويظهر الحب الأبوي عادة في اهتمام الأب بأبنائه ، وفي رعايته لهم ، ونصحهم وتوجيههم إلى ما فيه مصلحتهم وخيرهم . ويضرب لنا القرآن مثالاً لدور الأب الحكيم في نصح أبنائه وتوجيههم بما جاء على لسان لقمان من نصائح حكيمة نصح بها ابنه[2] .

**حب الله :**

إن ذروة الحب عند الإنسان ، وأكثره سمواً وصفاء وروحانية هو حبه لله سبحانه وتعالى ، وشوقه الشديد إلى التقرب منه ، لا في صلواته وتسبيحاته ودعواته فقط ، ولكن في كل عمل يقوم به ، وفي كل سلوك يصدر منه ، إذ يكون توجهه في كل أعماله وتصرفاته إلى الله سبحانه وتعالى راجياً منه تعالى القبول والرضوان . إن حبّ الله تعالى هو غاية كل مؤمن ، وهو القوة الدافعة لطاعة الله ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4]

---

(١) يوسف : ٨٤ .
(٢) انظر سورة لقمان : الآيات : ١٣ – ١٩ .
(٣) آل عمران : ٣١ .
(٤) المائدة : ٥٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحب المؤمن لله يفوق حبه لأي شيء آخر في الحياة ، يفوق حبه لذاته ولأبنائه ولزوجته ولأبويه ولأهله ولأمواله .

« قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ »(١)

« وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ .. »(٢)

وفى هذا المعنى قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف به في النار»(٣).

إن حب المؤمن لله تعالى وعبادته له ، إنما هما مطلبه الأسمى وغايته القصوى التى يتحقق بهما له أعظم السعادة والسرور والبهجة والأمن والطمأنينة ، سواء فى الدنيا أو فى الآخرة . يقول ابن تيمية فى هذا المعنى : « .. فكلما ازداد القلب حباً له ( لله ) ازداد له عبودية ، وكلما ازداد له عبودية ، ازداد له حبّاً وفضّله عما سواه . والقلب فقير بالذات إلى الله من وجهين : من جهة العبادة ، وهى العلة الغائية ، ومن جهة الاستعانة والتوكل ، وهى العلة الفاعلة . فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسر ، ولايلتذ ، ولايطيب ، ولايسكن ، ولايطمئن ، إلاّ بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه . ولو حصل له كل مايلتذ به من المخلوقات ، لم يطمئن ، ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتى إلى ربه ،

---

(١) التوبة : ٢٤

(٢) البقرة : ١٦٥ .

(٣) رواه الشيخان والترمذى والنسائى عن أنس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة [1] .

ويقول ابن قيم الجوزية أيضاً فى هذا المعنى : « .. لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها ، فهو إلٰهها ومعبودها ، ووليها ومولاها ، وربها ومدبّرها ورازقها ، ومميتها ومحييها . فمحبته نعيم النفوس ، وحياة الأرواح ، وسرور النفوس ، وقوت القلوب ، ونور العقول ، وقرّة العيون ، وعمارة الباطن . فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة ، والعقول الزاكية أحلى ، ولا ألذ ، ولا أطيب ، ولا أسرّ ، ولا أنعم من محبته والأنس به ، والشوق إلى لقائه ، والحلاوة التى يجدها المؤمن فى قلبه بذلك فوق كل حلاوة ، والنعيم الذى يحصل له بذلك أتمّ من كل نعيم ، واللذة التى تناله أعلى من كل لذة ...

فالقلب لا يفلح ، ولا يصلح ، ولا يتنعم ، ولا يبتهج ، ولا يلتذ ، ولا يطمئن ، ولا يسكن ، إلاّ بعبادة ربه وحبه ، والإنابة إليه . ولو حصل له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن إليها ، ولم يسكن إليها ، بل لا تزيده إلاّ فاقة وقلقاً ، حتى يظفر بما خُلق له ، وهُيّئ له : من كون الله وحده نهاية مراده ، وغاية مطالبه . فإن فيه فقراً ذاتياً إلى ربه وإلهه ، من حيث هو معبوده ومحبوبه ، وإلهه ومطلوبه ، كما أن فيه فقراً ذاتياً إليه من حيث هو ربه وخالقه ورازقه ومدبره . وكلما تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه أخرجت منه تألُّهه لما سواه وعبوديته له » [2] .

وحينما يخلص الإنسان فى حبه لله ، يصبح هذا الحب هو القوة الدافعة الموجهة له فى حياته ، وتخضع كل أنواع الحب الأخرى لهذا الحب الإلهى ، ويصبح إنساناً يفيض بالحب للناس والحيوان وجميع مخلوقات الله والكون بأسره ، فهو يحبها لله ، إذ يرى فى كل الموجودات من حوله آثار ربه الذى تشده إليه أشواقه الروحية ، وتطلعاته القلبية [3] .

---

(١) أحمد بن تيمية : العبودية . ط ٦ ، بيروت : المكتب الإسلامى ، ١٩٨٣ ، ص ١٠٨ .

(٢) ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفقى . بيروت : دار المعرفة ، جـ٢ (د . ت) ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .

(٣) يقتصر علماء النفس المحدثون في دراستهم للحب على حب الذات ، والحب الجنسي ، والحب الأسري ، ولكنهم لا يتعرضون لحب الإنسان لله ، وحبه للأنبياء والرسل ، وحبه للمثل الإنسانية =

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## حب الرسول :

ويأتي بعد حب الله تعالى في ذروة السمو والنقاء والروحانية حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، ليهديهم ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، والذي اصطفاه الله تعالى ليكون خاتم النبيين ، ورسوله للناس كافة ، وأنزل عليه القرآن الكريم كتاب الله الخالد المصدق لما سبق من الكتب السماوية والمهيمن عليها . ولقد كان الرسول صلوات الله عليه وسلامه المثل الكامل للإنسان في أخلاقه وسلوكه وفيما تحلى به من محاسن الصفات والخصال ، وما أدل على ذلك من وصف القرآن له بأنه على خلق عظيم .

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]

والمؤمن الصادق الإيمان يحمل كل الحب للرسول صلوات الله عليه وسلامه الذي تحمل مشاق الدعوة ، وجاهد جهاد الأبطال حتى نشر الإسلام في ربوع العالم ، ونقل الإنسانية من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية . وقد أوصانا القرآن بحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقرن حبه بحب الله فى الآية الرابعة والعشرين من سورة التوبة التى ذكرناها سابقاً أثناء كلامنا عن حب الله .

والمؤمن الصادق الإيمان يتخذ من الرسول عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى الذي يقتدي به في أخلاقه ، ويحذو حذوه في سلوكه ، ويهتدي بسيرته العطرة .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]

---

= العليا كالعدل والصدق الخ ، بالرغم من أن هذه الأنواع من الحب هي من أرقى أنواع الحب الإنساني ، وبها وحدها يتميز الإنسان عن الحيوان .

(١) القلم : ٤ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# الفرح

يشعر الإنسان بانفعال الفرح أو السرور إذا نال ما تمناه ، وحصل ما يحب أن يحصل عليه من مال ، أو نفوذ ، أو نجاح ، أو علم ، أو إيمان وتقوى . فالفرح أمر نسبي يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة . فمن كان هدفه في الحياة جمع المال ، والحصول على القوة والنفوذ وغير ذلك من متاع الحياة الدنيا ، كان نجاحه في تحقيق هذه الأهداف باعثاً على فرحه وسروره . ومن كان هدفه في حياته التمسك بالإيمان والتقوى والعمل الصالح لكي يحصل على السعادة في الحياة الآخرة ، كان ذلك مصدر أمنه وطمأنينته وسروره . وقد ذكر القرآن هذين النوعين من الفرح ، فذكر فرح الكفار بمتاع الحياة الدنيا .

« .. وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ »(١)

وذكر القرآن أيضاً فرح المؤمنين بما أُنزل إليهم من آيات القرآن الذي يهديهم إلى الحق ، والذي فيه شفاء لهم وهدى ورحمة .

« يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ »(٢)

ومن كان متاع الحياة الدنيا هو مصدر فرحه وسروره ، وهو شأن معظم الناس ، فإنه لا ينعم في الواقع بالحياة السعيدة المطمئنة المستقرة . وذلك لأنه إذا ما أنعم الله عليه بنعمة الصحة وسعة الرزق ووفرة المال شعر بالفرح والسعادة ، وشغله متاع الدنيا ونعمتها عن ذكر الله تعالى وشكره . وإذا ما أصابه ضرر أو بلاء ، وفقد بعض النعم التي كان يتمتع بها ، تملكه اليأس ، وجحد النعم

---

(١) الرعد : ٢٦ .

(٢) يونس : ٥٧ ، ٥٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخرى التي لا يزال ينعم بها . وهكذا يعيش مثل هذا الإنسان في اضطراب مستمر ، وفي تقلب دائم بين الشعور بالسعادة ، والشعور باليأس .

« وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ »(١)

أما من كان مصدر فرحه وسروره هو تمسكه بالإيمان والتقوى والعمل الصالح واتباع منهج الله في حياته فهو يشعر في الواقع بالسعادة الحقيقية المستقرة الدائمة . ويصدق عليه قول الله تعالى :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(٢)

ويصف القرآن أيضاً السرور الذي يشعر به المؤمن يوم الحساب حينما ينجيه الله تعالى من شر ذلك اليوم ويدخله برحمته في جنة النعيم .

« فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا »(٣)

## الكره

والكره انفعال مضاد لانفعال الحب ، هو عبارة عن شعور بعدم الاستحسان ، وعدم التقبل ، أو الشعور بالنفور والاشمئزاز ، وبرغبة في الابتعاد عن الموضوعات التي تثير هذا الشعور ، سواء كانت أشخاصاً أو أشياء أو أفعالاً .

---

(١) هود : ٩ ، ١٠ .
(٢) النحل : ٩٦ .
(٣) الإنسان : ١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالرغم من أن الحب هو أساس الحياة الزوجية ، إلا أنه قد يحدث أحياناً بين الزوجين من سوء التفاهم وكثرة المشاحنات والخلافات ما قد يؤدي إلى نشوء الكراهية بينهما . وقد أشار القرآن إلى ما قد يحدث أحياناً بين الأزواج من كراهية ، ودعانا إلى محاولة التغلب عليها حتى يمكن للحياة الزوجية أن تستمر .

« .. وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا »(١)

وقد يكره الإنسان شخصاً آخر أو بعض الأشخاص الآخرين لاختلافه معهم في الرأي ، أو بسبب الغيرة منهم لتفوقهم عليه في أمر من الأمور ، أو لما يسببونه له من إحباط ، أو لغير ذلك من الأسباب التي تبعث الكراهية في النفس . وقد كان الكفار والمنافقون يكرهون المؤمنين ويحقدون عليهم ، إذا أصابهم شر فرحوا به ، وإذا نالوا خيراً ساءهم ذلك .

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ »(٢)

والإنسان يحب ذاته ، ويحب الخير لنفسه ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً أثناء كلامنا عن حب الذات . وهو يكره الموت وكل ما يؤذيه ويؤلمه . ولذلك يكره الإنسان القتال لما فيه من احتمال الموت أو إلحاق الأذى بالنفس . وقد

---

(١) النساء : ١٩ .

(٢) آل عمران : ١١٨ ـ ١٢٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصف القرآن كره الإنسان للقتال في قوله تعالى :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ .. »(١)

وإن إقدام الإنسان على التضحية بنفسه في سبيل عقيدته يقتضي أن تكون قوة العقيدة قد بلغت لديه درجة عالية جداً بحيث أصبحت أكثر قيمة لديه من ذاته ، وأشد قوة من حبه لذاته . ولهذا السبب كان المؤمنون يسارعون إلى الاستشهاد في سبيل الله ، بينما كره المنافقون الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أن ينفقوا أموالهم أو أن يضحوا بأنفسهم في الجهاد في سبيل الله ، وآثروا التخلف عن الخروج للجهاد مع رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، كما أخذوا يثبطون غيرهم ويغرونهم بعدم الخروج للجهاد في الحر الشديد .

« فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ »(٢)

« .. وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ »(٣)

ويؤثر الإيمان أيضاً في نفس المؤمن فيدفعه إلى التخلص من الكراهية لإخوانه المؤمنين . وأشاد القرآن بالمؤمنين الذين جاءوا بعد الأنصار والمهاجرين لدعائهم الله أن يغفر ذنوب المؤمنين الذين سبقوهم ، وألاّ يجعل في قلوبهم كراهية وحقداً للذين آمنوا .

« وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ »(٤)

---

(١) البقرة : ٢١٦ .
(٢) التوبة : ٨١ .
(٣) التوبة : ٥٤ .
(٤) الحشر : ١٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## الغيرة

الغيرة انفعال مكدِّر بغيض يشعر به الإنسان عادة إذا شعر أن الشخص المحبوب يوجه انتباهه أو حبه إلى شخص آخر غيره . ومن أنواع الغيرة الشائعة ما يحدث بين الإخوة إذا ما شعر أحدهم أن والديه أو أحدهما يحب أحد إخوته أكثر منه . وقد وصف القرآن الغيرة بين الإخوة فيما رواه عن غيرة إخوة يوسف عليه السلام منه بسبب حب أبيهم يعقوب عليه السلام له ولأخيه الأصغر وتفضيله لهما عليهم .

« إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ »[1]

وانفعال الغيرة انفعال مركب توجد فيه عناصر من عدة انفعالات أخرى وخاصة انفعال الكره . ولذلك فغالباً ما تكون الغيرة مصحوبة بالكره والحقد والرغبة في إيذاء الشخص الذي يثير الغيرة . وقد وصف القرآن ذلك أيضاً فيما ذكره عن رغبة إخوة يوسف في قتله والتخلص منه ، وفيما قاموا به فعلاً من إلقائه في غور البئر .

## الحسد

الحسد نوعان ، أحدهما مذموم شرعاً ، وهو كراهة رؤية النعمة على الغير مطلقاً ، وتمنى زوالها عنه . والنوع الثانى ، وهو ما يعرف بالغبطة ، وفيه يتمنى الإنسان أن يكون لديه مثل النعمة التى لدى الغير دون تمنّى زوالها عنه[2] . وهذا النوع الثانى من الحسد ، أو الغبطة ، ليس مذموماً مطلقاً ، وبخاصة إذا كانت النعمة التى يتمنى الإنسان الحصول

---

(١) يوسف : ٨ ، ٩ .

(٢) أحمد بن تيمية : مجموعة الفتاوى ، حـ ١٠ ، علم السلوك . إشراف الرياسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، السعودية ( د . ت ) ، ص ١١١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليها محمودة شرعاً ، كأن يتمنى ، مثلاً ، أن يكون حافظاً للقرآن مثل غيره من حفاظ القرآن ، أو أن يكون لديه مال كثير لينفقه فى سبيل الله مثل شخص آخر ثرى ينفق ماله فى سبيل الله . وفى هذا المعنى قال الرسول صلى الله عليه وسلم .

« لاحسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار »[1] .

وقد وصف القرآن النوع الأول من الحسد حينما خرج قارون فى زينته على قومه فحسده بعض الناس وتمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون من أموال وذهب .

« فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ »[2]

وقد أشار القرآن أيضا إلى هذا الحسد المذموم حينما وصف حسد اليهود والمشركين للنبي عليه الصلاة والسلام على ماخصه الله به من فضل النبوة ، وحسدهم للمؤمنين على ما خصهم الله به من فضل الإيمان والهداية .

« مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ »[3]

« أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا »[4]

« وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »[5]

---

(١) أخرجه الشيخان عن ابن عمر .
(٢) القصص : ٧٩ .
(٣) البقرة : ١٠٥ .
(٤) النساء : ٥٤ .
(٥) البقرة : ١٠٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد يحدث الحسد بين الإخوة . فقد يحسد الأخ أخاه على ما فضله الله عليه من مواهب مختلفة . ولذلك كان تحذير يعقوب ليوسف عليهما السلام من أن يقص رؤياه على إخوته خوفاً من حسدهم له ، مما قد يدفعهم إلى إيذائه .

« قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ »[1]

وإن أول حسد حدث في الأرض هو حسد قابيل لأخيه هابيل حينما تقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل ، مما دفعه إلى قتل أخيه .

« وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ »[2]

والحسد ، مثل الغيرة ، يثير الحقد والكراهية ويدفع إلى تمني وقوع الأذى للشخص المحسود . وقد يدفع إلى العدوان وإلحاق الأذى بالشخص المحسود . فقد قتل قابيل أخاه هابيل ، وقام إخوة يوسف عليه السلام بإلقائه في غور البئر [3] . ولما كان الحسد يؤدي إلى كراهية وعدوان وأذى فقد طلب منا الله تعالى أن نستعيذ من شر الحاسدين .

« .. وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ »[4]

## الحزن

الحزن انفعال مضاد للفرح والسرور ، وهو يحدث إذا فقد الإنسان شخصاً عزيزاً ، أو شيئاً ذا قيمة كبيرة ، أو إذا حلت به كارثة ما ، أو فشل في تحقيق

---

(١) يوسف : ٥ .

(٢) المائدة : ٢٧ .

(٣) وقد كان حسد ابليس لآدم عليه السلام وحقده عليه سبباً في إخراجه من الجنه .

(٤) الفلق : ٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمر هام . ويشعر الآباء والأمهات عادة بالحزن إذا ما غاب أبناؤهم عنهم ، أو إذا ما لحق بهم أذى أو أصابهم مكروه . وقد أشار القرآن إلى حزن أم موسى عليه السلام حينما ابتعد عنها ابنها بعد أن وضعته في صندوق وألقت به في النهر وقذف به الموج بعيداً عنها .

« فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ .. »[1]

« .. فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ .. »[2]

ووصف القرآن حزن يعقوب من فقد ابنه يوسف عليهما السلام .

« وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »[3]

ووصف القرآن أيضاً حالة الحزن التي أصابت المؤمنين الفقراء الذين جاءوا إلى الرسول عليه صلوات الله وسلامه يطلبون الخروج معه للجهاد ، ولكن الرسول عليه صلوات الله وسلامه قال لهم إنه لا يجد ما يحملهم عليه فتولوا عنه يبكون من الحزن .

« وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ »[4]

---

(١) القصص : ١٣ .
(٢) طه : ٤٠ .
(٣) يوسف : ٨٤ـ٨٦ .
(٤) التوبة : ٩٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذكر القرآن أيضاً شعور الحزن الذي ألم بأبي بكر رضي الله عنه حينما كان مع الرسول عليه صلوات الله وسلامه في الغار ، وكان الكفار يطاردونهما للفتك بهما .

« .. إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا .. »(١)

وكان النبي صلوات الله عليه وسلامه يشعر بالحزن حينما يرى كفار مكة لا يستجيبون لدعوته بالإيمان بالله ، وبما أُنزل عليه من القرآن .

« وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »(٢)

« وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ »(٣)

وكان يحزن صلوات الله عليه وسلامه حينما يسمع ما يقول الكافرون في الله تعالى ، وحينما يسمع تكذيبهم له .

« فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ »(٤)

« قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ »(٥)

---

(١) التوبة : ٤٠ .
(٢) آل عمران : ١٧٦ .
(٣) لقمان : ٢٣ .
(٤) يس : ٧٦ .
(٥) الانعام : ٣٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويذكر القرآن في كثير من الآيات الحزن مقروناً مع الخوف ، مما يشير إلى أنهما انفعالان مكدِّران ، إذا ما ألمّا بالإنسان فإنهما يعكران صفو حياته . كما تشير هذه الآيات أيضاً إلى أن في الإيمان بالله وتقواه والعمل الصالح وقاية من الخوف والحزن وعلاجاً لهما . ومن أمثلة هذه الآيات :

« قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(١)

« يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(٢)

« وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(٣)

« بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(٤)

## الندم

الندم حالة انفعالية تنشأ عن شعور الإنسان بالذنب ، وأسفه على ارتكابه ، ولومه لنفسه على ما فعل ، وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك .

ولوم الإنسان لنفسه ، وندمه على ما فعل من العوامل الهامة في تقويم شخصية

---

(١) البقرة : ٣٨ .
(٢) الأعراف : ٣٥ .
(٣) الأنعام : ٤٨ .
(٤) البقرة : ١١٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإنسان ، ودفعه إلى تجنب الأفعال المشينة وارتكاب الذنوب التي تسبب له الندم ولوم النفس . ولذلك فقد أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة تقديراً لأهميتها في توجيه سلوك الإنسان إلى الابتعاد عن المعاصي التي تسبب له اللوم والندم .

« لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ »[1]

وتقابل النفس اللوامة ما نسميه الضمير ، وما يسميه فرويد والمحللون النفسيون « بالأنا الأعلى » أو « الأنا المثالي » ، وهو الجزء من النفس الذي يحاسب الإنسان على أفعاله ، ويؤنبه على أخطائه ، ويجعله يشعر بالندم على ما ارتكبه من ذنوب .

وأول ندم شعر به الإنسان ما حدث لأبوينا آدم وحواء عليهما السلام وهما في الجنة وقبل هبوطهما إلى الأرض . فقد عصيا أمر ربهما وأكلا من الشجرة التي نهاهما عن الاقتراب منها ، وظهرت سوءاتهما ، فشعرا بالندم وتوجها إلى الله تعالى يطلبان منه المغفرة والتوبة .

« وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ »[2]

---

(١) القيامة : ١ ، ٢ .

(٢) الأعراف : ١٩ – ٢٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وثاني ندم شعر به الإنسان بعد ذلك حدث عندما قتل قابيل أخاه هابيل ، ثم ندم بعد ذلك على قتله [1]

« فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ » [2]

ويصف القرآن ما سيحدث يوم القيامة من ندم بعض الكفار لعدم إيمانهم بالله ، وعدم تصديقهم لرسوله صلوات الله عليه وسلامه .

« وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا » [3]

## انفعالات أخرى

وأشار القرآن أيضاً إلى بعض الانفعالات الأخرى غير التي ذكرناها مثل : الحياء ، والخزي ، والزهو أو الكبر .

الحياء انفعال مركب فيه عناصر من الخجل والخوف ، وهو يعتري الإنسان إذا خاف أن يرى الناس فيه ما يمكن أن يعاب أو يذم . وهو من السمات الإنسانية الحميدة ، لأنه يدفع الإنسان إلى تجنب الأفعال القبيحة المعيبة [4] . وقد أشار القرآن إلى انفعال الحياء أثناء ذكره لقصة هرب موسى عليه السلام من فرعون ، والتجائه إلى أرض مدين ، وسقايته لفتاتين كانتا واقفتين بجانب البئر . وعادت إحدى

---

(١) محمود شلبي : حياة آدم ، ط ٢ . بيروت : دار الجيل (د . ت ) ص ١٠١ .

(٢) المائدة : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) الفرقان : ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) يقول ابن تيمية : « الحياء مشتق من الحياة ، فإن القلب الحيّ يكون صاحبه حياً فيه حياء يمنعه عن القبائح . فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب . ولهذا قال النبي الله عليه وسلم: ( الحياء من الإيمان) . . . ». ابن تيمية ، مجموعة الفتاوى ، جـ ١٠ ، علم السلوك ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هاتين الفتاتين إليه بعد ذلك تمشي إليه في استحياء ودعته إلى مقابلة أبيها ليأجر على سقايته لهما .

« فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا .. »(١)

والخزي هو الخجل المصحوب بالشعور بالمهانة والذل والفضيحة والعار وقد وردت في القرآن كثير من الآيات التي تصف حالة الخزي التي يشعر به المشركون والمنافقون في الدنيا والآخرة .

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ »(٢)

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ »(٣)

« فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ »(٤)

والزهو حالة انفعالية معقدة نلاحظها بين بعض الناس ، وهي الإعجاب بالنفس والغرور والتعاظم والكبرياء . وقد يصبح الزهو عند بعض الناس سمة سلوكية تتميز بها شخصياتهم . وقد ذمّ القرآن الزهو والكبر والتعالي على الناس .

---

(١) القصص : ٢٥ .
(٢) البقرة : ١١٤ .
(٣) المائدة : ٣٣ .
(٤) فصلت : ١٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

«وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا»[1]

«وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»[2]

والإعجاب بالنفس يؤدي إلى التعاظم والتعالي على الناس ومعاملتهم في تحقير واستكبار . وقد ذمّ القرآن في كثير من الآيات استكبار المشركين والمنافقين وعنادهم في قبول الحق تكبراً . ومن أمثلة هذه الآيات :

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ»[3]

«وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»[4]

ويعطينا القرآن في قصة فرعون نموذجاً من الشخصيات المتطرفة في الزهو والتعالي والاستكبار .

«فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ»[5]

«وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ..»[6]

«وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي

---

(١) الإسراء : ٣٧ .

(٢) لقمان : ١٨ . لاتصعّر خدك للناس أي لاتمل خدك للناس تكبراً .

(٣) المنافقون : ٥ .

(٤) الجاثية : ٧ ، ٨ .

(٥) النازعات : ٢٣ ، ٢٤ .

(٦) القصص : ٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (١)

## التغيرات البدنية المصاحبة للانفعال

إذا انفعل الإنسان حدثت تغيرات فسيولوجية كثيرة في بدنه ، كما حدثت تغيرات في هيئة بدنه الخارجية ، وفي ملامح وجهه . ومن بين هذه التغيرات الفسيولوجية التي تحدث أثناء الانفعال شدة دقات القلب ، وتقلص الأوعية الدموية في الأمعاء والأحشاء ، واتساع الأوعية الدموية على سطح البدن والأطراف مما يؤدي إلى تدفق كميات كبيرة من الدم إلى القلب . وامتلاء القلب بالدم يسبب ازدياداً فى حجمه مما يجعله يقترب من القصبة الهوائية ، حيث يوجد القلب من الوجهة التشريحية تحت تشعب القصبة الهوائية بما يقرب من سنتيمتر ونصف (٢) . ومن جهة أخرى ، فإن الإنسان المنفعل يشعر أن قلبه ، من شدة خفقانه ، يصل إلى حنجرته . وقد وصف القرآن ما يحدث فى القلب أثناء انفعال الخوف من خفقان شديد يؤدى إلى كثرة تدفق الدم إليه مما يزيد من حجمه ويجعله يقترب من القصبة الهوائية كما يؤدى إلى شعوره باقتراب قلبه من حنجرته .

﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (٣)

ويصف القرآن حالة الفزع التي تصيب الناس يوم القيامة .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (٤)

---

(١) الزخرف : ٥١ ، ٥٢ .

(٢) جمال ماضي أبو العزائم : القرآن وعلم النفس ، ندوة علم النفس والإسلام ، المجلد الأول . من مطبوعات كلية التربية بجامعة الرياض ( على الآلة الكاتبة ) ، ١٩٧٨ م ، ص ٢١ .

(٣) الأحزاب : ١٠ ، ١١ . تصف هاتان الآيتان الخوف الذي انتاب المسلمين أثناء موقعة الخندق .

(٤) غافر : ١٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن التغيرات البدنية التي تصاحب الانفعال أيضاً تغير ملامح الوجه ، بحيث يستطيع الإنسان أن يلاحظ حالة الانفعال من التغيرات التي تحدث في ملامح وجه المنفعل . وقد أشار القرآن إلى هذه الظاهرة في كثير من الآيات . ومن أمثلة ذلك :

« وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا .. »(١)

« وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ »(٢)

وفي القرآن آيات كثيرة تصف انفعالات الحزن والكآبة ، والسرور والسعادة التي يشعر بها الناس يوم القيامة ، وما يظهر على ملامح وجوههم من تعبيرات تعكس حالتهم الانفعالية . قال تعالى في وصف حالة الحزن والكآبة التي تنتاب الكافرين يوم القيامة لما ينتظرون أن يلحق بهم من العذاب ، فتبدو وجوههم عابسة مسودة من الحزن والكآبة :

« وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ .. »(٣)

« وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ »(٤)

« وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ »(٥)

---

(١) الحج : ٧٢ .

(٢) الزخرف : ١٧ .

(٣) الزمر : ٦٠ .

(٤) القيامة : ٢٤ ، ٢٥ . « باسرة » معناها كالحة شديدة العبوس . « ويفعل بها فاقرة » يعني تحل بها داهية تكسر فقرات الظهر .

(٥) عبس : ٤٠ ـ ٤٢ . « غبرة » : غبار ، « وقترة » : كدورة . والمعنى أن وجوههم يغشاها سواد من الخزي والمذلة والهوان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويصف القرآن أيضاً حالة السرور والسعادة التي تظهر على وجوه المؤمنين يوم القيامة لما ينتظرهم من نعيم ، فيبدون ضاحكين مستبشرين .

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ »[1]

« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ »[2]

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ »[3]

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ »[4]

ومن التغيرات البدنية التي تصاحب حالة الانفعال ، وخاصة انفعال الخوف اتساع حدقة العين .

« وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ »[5]

« وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ »[6]

وقوله تعالى « تشخص فيه الأبصار » و« لا يرتد إليهم طرفهم » وصف دقيق

---

(١) عبس : ٣٨ ، ٣٩ . مسفرة : مضيئة مشرقة .
(٢) المطففين : ٢٢ ـ ٢٤ .
(٣) الغاشية : ٨ ـ ١٠ .
(٤) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .
(٥) ابراهيم : ٤٢ ، ٤٣ .
(٦) الأنبياء : ٩٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لما يحدث أثناء انفعال الخوف من اتساع حدقة العين ، وشدة التحديق بها ، وعدم غمضها لشدة الفزع من هول ما ترى .

وتتغير أثناء الانفعال هيئة البدن كله على وجه عام . ففي حالة السرور ، والفرح ، مثلاً ، يبدو الإنسان نشيطاً ، منتصب القامة ، مرفوع الرأس ، متسع الصدر . وفي حالة الخزي والشعور بالذنب والندم ، يبدو الإنسان ذليلاً ، مطاطيء الرأس ، منكمش الجسم كأنما يريد أن يتوارى عن الأنظار . ونجد في القرآن وصفاً لهذه التغيرات في هيئة البدن التي تصاحب الانفعال .

« وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ »(١)

« وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ .. »(٢)

« خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ .. »(٣)

ومن التغيرات البدنية التي تحدث أثناء انفعال الخوف أيضاً انتصاب شعر الرأس وجميع الشعر على سطح الجلد . يظهر ذلك واضحاً عند بعض الحيوانات كالقطط التي يلاحظ فيها انتصاب شعرها في حالة انفعال الخوف . ويحدث مثل ذلك أيضاً عند الإنسان ولكن في صورة أقل وضوحاً مما نراه لدى الحيوانات . وانتصاب الشعر الموجود على سطح جلدنا أثناء انفعال الخوف هو ما يجعلنا نحس بنوع من القشعريرة أثناء انفعال الخوف . وقد ذكر القرآن هذا الشعور بالقشعريرة المصاحب لانفعال الخوف .

« ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى

---

(١) السجدة : ١٢ .

(٢) الشورى : ٤٥ .

(٣) القلم : ٤٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ »[1]

وقوله تعالى : « ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » إشارة إلى حالة الاسترخاء والاطمئنان اللتين يحدثهما في النفس ذكر الله والتوجه إليه بالعبادة والتسبيح .

وقد يعبر الإنسان أيضاً عن انفعالاته بحركات يديه ، وقد ذكر القرآن ما يقوم به الإنسان في حالة الندم من تقليب كفيه .

« وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا »[2]

وقد يضع الإنسان يده في فمه ليعبر عن استغرابه واستنكاره . قال تعالى

« أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۖ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ »[3]

ويحدث أيضاً أثناء الانفعال أن تتعطل عملية التفكير ، فلا يستطيع الإنسان أن يفكر فيما يجابهه من مشكلات تفكيراً سليماً كما يحدث عادة في الأوقات التى لا يكون فيها منفعلاً . وقد أشار القرآن إلى تعطيل عملية التفكير أثناء الانفعال فى الآية رقم ٤٣ من سورة إبراهيم التى ذكرناها سابقاً والتى فيها يقول الله تعالى :

« .. لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ »[4]

وتشير عبارة «وأفئدتهم هواء إلى تعطيل عملية التفكير أثناء الخوف ، إذ تصبح عقول الظالمين خالية من العقل والتفكير[5] .

---

(١) الزمر : ٢٣ .

(٢) الكهف : ٤٢ .

(٣) ابراهيم : ٩ .

(٤) ابراهيم : ٤٣ .

(٥) تفسير القرطبى ، جـ٩ ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ؛ تفسير الجلالين ، ص ٢١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# السيطرة على الانفعالات

بالرغم من أن للانفعالات وظائف هامة في حياة الإنسان إذ أنها ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، تعينه على حفظ ذاته وبقائه ، إلا أن الإسراف فيها يضر بصحة الإنسان البدنية والنفسية . فانفعال الخوف ، مثلاً ، مفيد للإنسان لأنه يدفعه الى اتقاء الأخطار التي تهدد حياته ، أما إذا أسرف الإنسان في خوفه فأصبح يخاف من أشياء كثيرة ليس فيها ما يهدده بأخطار حقيقية ، فإن الخوف يصبح في هذه الحالة مضراً . ووجود مثل هذه المخاوف الكثيرة يعتبر في العادة دليلاً على اضطراب الشخصية . وقد بينت الدراسات الحديثة في الطب النفسجسمي ( السيكوسوماتي ) أن اضطراب الناحية الانفعالية عند الإنسان من الأسباب الهامة في نشوء كثير من أعراض الأمراض البدنية . وأشارت بعض الإحصائيات أن نسبة كبيرة من المرضى الذين يترددون عادة على عيادات الأطباء إنما هم يشكون أساساً من اضطرابات انفعالية ناشئة عن مشكلاتهم النفسية ، وأن ما يحتاج إليه هؤلاء المرضى ليس علاجاً طبياً ، وإنما هم في الحقيقة في حاجة إلى علاج نفسي . وقد أصبح من المعروف الآن بين الأطباء أن أحسن ما ينصح به هؤلاء المرضى هو التخلص من القلق . وقد سبق القرآن العلوم الطبية والنفسية الحديثة في الاهتمام بتوجيه الناس إلى التحكم في انفعالاتهم والسيطرة عليها لما في ذلك من فوائد صحية كثيرة لم تعرف معرفة علمية دقيقة إلا في العصر الحديث .

## السيطرة على الخوف من الموت :

حرص القرآن على أن يوجه الناس إلى عدم الخوف من الأمور التي من شأنها أن تثير الخوف في الناس عادة ، كالموت ، والفقر . ففيما يتعلق بالخوف من الموت فقد بين لنا القرآن أن الحياة الدنيا حياة فانية ، وأن نعيمها زائل ، وأن الحياة الآخرة هي الحياة الباقية ، وأن نعيمها خالد لا يزول ، وأن الموت ليس إلا مرحلة تنقلنا من هذه الحياة الفانية إلى الحياة الباقية الخالدة . ولذلك فإن المؤمن الصادق الإيمان لا يخاف الموت ، لأنه يعلم أن الموت سينقله إلى نعيم الحياة الخالدة الباقية التي وعد الله بها عباده المتقين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »(١)

« وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ »(٢)

« يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ »(٣)

وكان هذا الإيمان بالحياة الآخرة الباقية وما وعد الله تعالى المؤمنين فيها من نعيم خالد من العوامل الهامة التي جعلت المسلمين الأوائل يقاتلون في سبيل الله فى شجاعة وإقدام غير هيابين الموت ، وكانوا يندفعون فى جرأة بالغة بين صفوف الكفار وهم يتمنون الشهادة فى سبيل الله والفوز بنعيم الجنة .

« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »(٤)

« وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ »(٥)

« فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »(٦)

---

(١) العنكبوت : ٦٤ .

(٢) الأنعام : ٣٢ .

(٣) غافر : ٣٩ .

(٤) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) آل عمران : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٦) النساء : ٧٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ »(١)

وكان المؤمنون الصادقو الإيمان يعلمون يقيناً أن الموت حق ، وأنه لا مفر منه ، فكانوا يتقبلونه كأمر واقعي محتوم بلا خوف أو جزع ، وكانوا يعلمون أنه مهما طالت أعمارهم في الحياة الدنيا فهي إلى زوال ، وأن الموت سينقلهم الى حياة البقاء والخلود .

« كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ »(٢)

« كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ »(٣)

« كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ »(٤)

« قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا »(٥)

« أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ »(٦)

---

(١) التوبة : ١١١ .
(٢) آل عمران : ١٨٥ .
(٣) الأنبياء : ٣٥ .
(٤) العنكبوت : ٥٧ .
(٥) الأحزاب : ١٦ .
(٦) النساء : ٧٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كان عدم خوف المؤمنين من الموت ، وحرصهم الشديد على نيل الشهادة في الجهاد في سبيل الله من أهم العوامل التي ساعدت على انتصارهم في حروبهم وانتشار الإسلام السريع في العالم .

**السيطرة على الخوف من الفقر :**

وأوصانا القرآن أيضاً بعدم الخوف من الفقر ، فالرزق بيد الله سبحانه وتعالى ، وهو الرزاق ذو القوة المتين .

« إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ »(١)

« وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ »(٢)

« وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ »(٣)

« وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ »(٤)

« ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »

« مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ »(٦)

---

(١) الذاريات : ٥٨ .
(٢) الذاريات : ٢٢ .
(٣) هود : ٦ .
(٤) العنكبوت : ٦٠ .
(٥) العنكبوت : ٦٢
(٦) فاطر : ٢ ، ٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

**السيطرة على الغضب :**

وأوصانا القرآن أيضاً بالتحكم في انفعال الغضب . فحينما يغضب الإنسان يتعطل تفكيره ، ويفقد قدرته على إصدار الأحكام الصحيحة . ويحدث أيضاً أثناء الغضب – وكذلك أثناء الخوف والانفعالات الأخرى بعامة كما أشرنا إلى ذلك من قبل – أن تفرز الغدتان الكظريتان هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على الكبد ويجعله يفرز كمية أكبر من السكر مما يؤدي إلى زيادة الطاقة في الجسم ويجعله أقدر على بذل المجهود العضلي اللازم للدفاع عن النفس . وإن زيادة الطاقة في الجسم أثناء انفعال الغضب يجعل الإنسان أكثر استعداداً وتهيؤاً للاعتداء البدني على من يثير غضبه . ولذلك كان التحكم في انفعال الغضب مفيداً من عدة وجوه . فأولاً ، يحتفظ الإنسان بقدرته على التفكير السليم ، وإصدار الأحكام الصحيحة ، فلا يتورط في أعمال أو أقوال يندم عليها فيما بعد . وثانياً ، يحتفظ الإنسان باتزانه البدني ، فلا ينتابه التوتر البدني الناشئ عن زيادة الطاقة التي تسببها زيادة إفراز الكبد للسكر ، وبذلك يتجنب الإنسان الاندفاع في القيام بأعمال عنيفة كالاعتداء البدني على الخصم الذي كثيراً ما يحدث أثناء انفعال الغضب . ثالثاً ، إن التحكم في انفعال الغضب وعدم الاعتداء على الغير ، بدنياً أو لفظياً ، والاستمرار في معاملتهم بالحسنى وفي هدوء من شأنه أن يبعث الهدوء في نفس الخصم ، ويدفعه إلى مراجعة نفسه . ولا شك أن ذلك يؤدي إلى كسب صداقة الناس ومحبتهم ، ويساعد على حسن العلاقات الإنسانية بوجه عام .

﴿ ..ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[1]

ورابعاً ، إن التحكم في انفعال الغضب مفيد أيضاً من الناحية الصحية لأنه يجنب الإنسان كثيراً من الأمراض البدنية التي تحدث عادة نتيجة للانفعالات الشديدة كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

---

(١) فصلت : ٣٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتَّضح من كل ما تقدم الحكمة في دعوة الله سبحانه وتعالى الناس إلى التحكم في الغضب وإلى العفو عن الناس ، ووعد من يتحكم في غضبه ثواباً عظيماً .

« وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ »(١)

« فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ »(٢)

« وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ »(٣)

« وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ »(٤)

« .. فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ »(٥)

« .. وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ »(٦)

« .. فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ »(٧)

---

(١) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٢) الشورى ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) الشورى : ٤٣ .
(٤) الشورى : ٤٠ .
(٥) الحجر : ٨٥ .
(٦) النور : ٢٢ .
(٧) المائدة : ١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولقد كان لدعوة القرآن إلى كظم الغيظ والعفو عن الناس تأثير كبير في نفوس المسلمين ، فانتشر بينهم التسامح . نذكر مثالاً لذلك ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فقد قال له رجل : «إنك لا تقضي بالعدل ، ولا تعطي الجزل ، فتغير عمر ، وظهر ذلك على وجهه . فقال له أحد الحاضرين : يأمير المؤمنين ، ألم تسمع قول الله سبحانه وتعالى : (خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين) . فقال عمر : صدقت ، وكأنما كانت نار فأطفئت»[1] .

**السيطرة على الحب :**

وأوصانا القرآن أيضاً بالتحكم في حبنا لأهلنا من آباء وأزواج وأولاد ، وفي حبنا لأصدقائنا وعشيرتنا ووطننا وأموالنا وممتلكاتنا حتى لا ينسينا كل ذلك حبنا لله ، ويلهينا عن طاعته والجهاد في سبيله .

«يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ»[2]

«قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ»[3]

ويؤكد القرآن على أن حب المؤمن لله تعالى يفوق حبه لكل الناس الآخرين

---

(١) محمد الصادق عفيفي : الفكر الإسلامي . مبادئه ، مناهجه ، قيمة ، أخلاقياته ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، (د . ت) ، ص ٢٥٦ . ( انظر سورة سورة الأعراف . آية ١٩٩ ) .

(٢) التغابن : ١٤ ، ١٥ . « إن من ازواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » بمعنى انكم تحبونهم وتعملون على تحقيق رغباتهم مما قد يصرفكم عن طاعة الله ، فكونوا منهم على حذر .

(٣) التوبة : ٢٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى أقربهم إليه كالآباء والأبناء والأقارب والأصدقاء . وإذا ما تعارض حب المؤمن لله مع حبه لأي من هؤلاء جميعاً فإنه يختار حب الله .

« لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »(١)

وضرب الله مثلاً بابراهيم عليه السلام ومن آمن معه على سيطرة الإنسان على حبه لأهله وترجيح كفة حب الله على حب الأهل .

« قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ . . »(٢)

**السيطرة على انفعالات أخرى :**

وأوصانا القرآن أيضاً بعدم الزهو والكبرياء . وقد ذكرنا سابقاً بعض الآيات التي نهانا القرآن فيها عن الزهو والكبرياء والتعالي على الناس ، وذلك أثناء كلامنا عن انفعال الزهو .

وأوصانا القرآن أيضاً بالسيطرة على كل من انفعال الحزن والفرح . فلا يجب أن نسرف في الحزن على ما يصيبنا من نوائب الدهر وكوارثه ، سواء في النفس أو الأبناء أو الأموال والممتلكات . كما لا يجب أن نسرف في الفرح على ما

---

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) الممتحنة : ٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يأتينا من خير ، أو ننالـه من نجاح أو تفوق أو شهرة أو جاه ، ولا يجب أن يدفعنا ذلك إلى الزهو والاستكبار والتفاخر . فإن كل ما يلحق بنا من أذى أو مصيبة ، أو ننالـه من خير فهو مكتوب في اللوح المخطوط ، وثابت في علم الله من قبل أن يحدث لنا . وما يجدي حزننا في تغيير ما حدث ، أو في تغيير نتائجه ، كما لا يجدي فرحنا وزهونا في الاستزادة من الخير ، أو في الاحتفاظ به وعدم زواله ، إذ أن كل شيء من ذلك إنما هو في علم الله تعالى وحده ، ومرهون بمشيئته وحده .

« مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »[1]

وعلى وجه عام ، فإن الله سبحانه وتعالى يوصينا بضبط انفعالاتنا ، والتحكم فيها ، والسيطرة عليها . وإن الإيمان بالله إيماناً صادقاً ، واتباع منهجه الذي رسمه لنا في القرآن ، وبينه لنا الرسول صلوات الله عليه وسلامه يمدنا بعزيمة وقوة إرادة تمكناننا من التحكم في انفعالاتنا والسيطرة عليها . إن المؤمن الصادق الإيمان لايخاف إلا من الله تعالى وحده . فهو لايخاف الموت ، أو الفقر ، أو الناس ، أو أي شيء آخر في الوجود . وهو يكظم غضبه فلا يثور لأتفه الأسباب ، وهو لايغضب إلا لما يغضب الله . وهو يسيطر على حزنه لأنه يعلم أنه لايصيبه إلا ماكتب الله له . وهو متواضع لأنه يعلم حق قدره ، فلا يزهو بنفسه ، ولايتفاخر ، ولايستكبر

وقد وردت في القرآن آيات كثيرة تبين أن الإيمان بالله وقاية من الخوف وعلاج له . وسوف نعود إلى ذلك فيما بعد في الفصل العاشر الخاص بالعلاج النفسي في القرآن .

---

(١) الحديد : ٢٢ ، ٢٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## الفصل الثالث

# الإدراك الحسّي في القرآن

لقد أرادت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يزود الإنسان والحيوان بكل الإمكانات والوظائف الضرورية للحياة والبقاء ، فزودهما ، بالإضافة إلى الدوافع والانفعالات ، بأجهزة يدركان بها العالم الخارجي وما يدور حولهما من أحداث ، كما يدركان بها عالمهما الداخلي وما يحدث فيه من تغيرات . والإدراك الحسي وظيفة هامة في الحياة ، فبه يدرك الكائن الحي ما يؤذيه فيتجنبه ، وما يفيده فيسعى إليه .

ويتم إدراكنا للعالم الخارجي بالحواس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والذوق والحواس الجلدية ، كما يتم عن طريق الإحساس الداخلي إدراكنا لما يحدث في بدننا من اختلال في الاتزان العضوي والكيميائي كالجوع والعطش ، مما يجعلنا نقوم بالسلوك الملائم سواء لظروف العالم الخارجي ، أو لسد النقص في أنسجة البدن وإعادته إلى حالته السابقة من الاتزان العضوي والكيميائي .

والإدراك الحسي وظيفة يشترك فيها كل من الإنسان والحيوان . غير أن الله سبحانه وتعالى قد خص الإنسان بوظيفة إدراكية أخرى هامة يتميز بها عن الحيوان ، ألا وهي العقل ، الذي به يستطيع الإنسان أن يعلو بإدراكه عن الأشياء المحسوسة ، فيفكر في المعاني المجردة كالخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، والحق والباطل ، والذي به يستطيع أن يستدل على المبادئ العامة من الملاحظات والتجارب . فبالعقل ، مثلاً ، يستطيع الإنسان أن يستدل من بديع خلق الله تعالى للكون بأسره وللإنسان نفسه ، على وجود الخالق وقدرته سبحانه وتعالى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1]

غير أن قدرة العقل الإنساني على الإدراك والمعرفة محدودة ، ثم إن تفكير الإنسان معرض للخطأ . فقد تطرأ ظروف معينة تعوق الإنسان عن التفكير السليم ، ويصبح الإنسان محتاجاً إلى من يرشده ويوجهه ويعلمه . ولذلك أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل إلى الناس ، وأنزل الكتب المقدسة لكي يرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ .. ﴾[2]

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[3]

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[4]

فالحواس والعقل ، إذن ، وسيلتان يستعين بهما الإنسان في الإدراك والمعرفة ، ولكنهما غير كافيتين وحدهما للوصول إلى المعرفة اليقينية في كثير من الأمور . فهما لا يستطيعان ، مثلاً ، معرفة الأمور الغيبية التي لا يستطيع أن يدركها الإنسان بحسه أو بعقله ، ولذلك يصبح من الضروري أن يتلقى الإنسان المعرفة من الله سبحانه وتعالى لكي ينظم حياته على الأرض بما يكفل له تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة . ويتلقى الإنسان هذه المعرفة من الله تعالى عن طريق الرسل والأنبياء ، أو عن طريق الإلهام والفيض الإلهي الذي يخص الله به بعض أوليائه .

وسنحاول أن نتناول في هذا الفصل موضوع الإدراك الحسي في القرآن ،

---

(١) فصلت : ٥٣

(٢) النحل : ٣٦ .

(٣) فاطر : ٢٤ .

(٤) البقرة : ١٥١ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مؤجلين الكلام عن التفكير والمعرفة الربانية التي يتلقاها الإنسان عن الله تعالى عن طريق الوحي والإلهام إلى فصول تالية .

**الحواس في القرآن :**

يولد الطفل لا يعلم شيئاً ، ثم لا يلبث أن تبدأ حواسه في أداء وظائفها ، فهو يتأثر بما يقع عليه من مؤثرات خارجية محدثة فيه إحساسات مختلفة هي الأساس الذي يتكون منه فيما بعد إدراكه ومعرفته بالعالم الخارجي . وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من الآيات ، نذكر منها على سبيل المثال :

« وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »(١)

« وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »(٢)

« قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »(٣)

« ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »(٤)

واكتفى القرآن بذكر السمع والبصر كأداتين من أدوات الإحساس وذلك ، أولاً ، لأهميتهما القصوى في عملية الإدراك الحسي ؛ وثانياً ، لأن في ذكرهما ما يكفي للدلالة على أهمية جميع الحواس في عملية الإدراك الحسي . وهذه خاصة من خصائص أسلوب القرآن الذي يتميز بالإيجاز البليغ والذي يكتفي

---

(١) النحل : ٧٨ .
(٢) المؤمنون : ٧٨ .
(٣) الملك : ٢٣ .
(٤) السجدة : ٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالتلميح والإشارة إلى الحقائق الأساسية العامة ، ويتغاضى عن التفصيلات . فليس القرآن كتاب علم ، وانما هو كتاب هداية للناس . وإنه ليكفي هنا في هذا الصدد للدلالة على نعمة الله تعالى على الإنسان بتزويده بأدوات للإدراك الحسي أن يشير القرآن فقط إلى السمع والأبصار .

ويأتي ذكر السمع في القرآن قبل الأبصار في كثير من الآيات ، وذلك ، فيما يبدو ، لعدة اعتبارات . فأولاً ، إن السمع أهم من البصر في عملية الإدراك الحسي ، والتعلم ، وتحصيل العلوم . فمن الممكن للإنسان إذا فقد بصره أن يتعلم اللغة ويحصل العلوم ، ولكنه إذا فقد سمعه تعذر عليه تعلم اللغة وتحصيل العلوم . ومما يدل على أهمية السمع في الإدراك وفي تعلم اللغة – وهي من أهم أدوات التفكير وتحصيل العلوم – أن القرآن ذكره وحده مع العقل للدلالة على العلاقة الوثيقة بينه وبين العقل .

« وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ »[1]

ولهذه العلاقة الوثيقة بين السمع والعقل فإن القرآن يذكر في كثير من الآيات السمع بمعنى الفهم والتدبر والتعقل .

« رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا »[2]

« إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »[3]

« وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ .. »[4]

« وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ

---

(١) الملك : ١٠ .
(٢) آل عمران : ١٩٣ .
(٣) النور : ٥١ .
(٤) الجن : ١٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1]

﴿ .. وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[2]

وثانياً ، إن حاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة حيث يستطيع الوليد أن يسمع الأصوات عقب ولادته مباشرة ، بينما يحتاج الوليد إلى فترة من الزمن لكي يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح[3] . وثالثاً ، إن حاسة السمع تؤدي وظيفتها باستمرار دون توقف ، بينما حاسة البصر قد تتوقف عن أداء وظيفتها إذا أغمض الإنسان عينيه ، أو إذا نام . ويستطيع الصوت الشديد أن يوقظ الإنسان من نومه . ولذلك فقد ذكر الله تعالى في قصة أهل الكهف أنه ضرب على آذانهم حتى يستغرقوا في النوم فلا يوقظهم صوت :

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾[4]

ورابعاً ، إن حاسة السمع تسمع في كل الأوقات سواء في الضوء أو في الظلام ، بينما حاسة البصر لا ترى إلا في الضوء[5] .

ويذكر القرآن السمع مفرداً ، بينما يذكر الأبصار في معظم الآيات في صيغة الجمع ، وذلك من أدلة الإعجاز في أسلوب القرآن ، حيث أن حاسة السمع تستقبل الأصوات الصادرة من جميع الجهات ، بينما العين لا ترى إلا إذا

---

(١) المائدة : ٨٣ .

(٢) الأعراف : ١٠٠ .

(٣) بينت البحوث الفسيولوجية الحديثة أن الطفل الحديث الولادة يستجيب للأصوات العالية ، ولكنه لا يستجيب للأصوات الخافتة الضعيفة . وبينت هذه البحوث ايضاً ايضاً ان الصور لا تبدو في عيني الطفل الحديث الولادة واضحة جلية حتى الشهر السادس إذ أن نمو التكوين الشبكي لا يتم إلا في نهاية الشهور الستة الأولى بعد الميلاد وسنتعرض لهذا الموضوع فيما بعد عند كلامنا على النمو في القرآن وذلك في الفصل التاسع الخاص بالشخصية .

(٤) الكهف : ١١ .

(٥) محمد متولي الشعراوي : معجزة القرآن ، حـ ١ ، القاهرة : كتاب اليوم ، ١٩٨٠ ، ص ٩٥ – ٩٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اتجه الإنسان ببصره نحو الشيء الذي يريد أن يراه[1] . وإذا حدث صوت في مكان يجتمع فيه جمع من الناس فإنهم جميعاً يسمعون نفس الصوت تقريباً ، بينما هم يرون الشيء الواحد من زوايا مختلفة ، وبذلك لا تكون رؤيتهم للشيء الواحد متماثلة تماماً . كما أنهم قد يرون في نفس الوقت أشياء مختلفة تبعاً للجهة التي ينظرون إليها . وفضلاً عن ذلك ، فنحن إذا سمعنا صوتاً صادراً من مكان يقع أمامنا مباشرة ، فإن الموجات الصوتية تصل إلى الأذنين في وقت واحد ، كما أن شدة تأثيرها على طبلتي الأذنين يكون متماثلاً . أما إذا نظرنا إلى شيء ما موضوع أمامنا فإن الصورة التي تنطبع على شبكية العين اليمنى تختلف عن الصورة التي تنطبع على شبكية العين اليسرى . فالعين اليمنى ترى الشيء من جانبه الأيمن ، بينما ترى العين اليسرى الشيء من جانبه الأيسر[2] .

**الحواس الجلدية :**

بينت الدراسات الفسيولوجية الحديثة أنه توجد في بشرة الإنسان خلايا حسية كثيرة مختلفة الشكل ، وهي متخصصة لاستقبال أنواع معينة من الإحساسات . فبعضها يحس بالحرارة ، وبعضها يحس بالبرودة ، وبعضها يحس باللمس والضغط ، وبعضها يحس بالألم . وقد أشار القرآن إلى وجود أعضاء الحس الخاصة بالإحساس بالألم في بشرة الإنسان ، وذلك في قوله تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ

---

(١) محمد اسماعيل ابراهيم : القرآن وإعجازه العلمي . القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٧ ، ص ١٠٩ – ١١١ ؛ محمد متولي الشعراوي : مرجع سابق ، ص ٩٥ – ٩٨ .

(٢) محمد عثمان نجاتي : مرجع سابق ، ص ٣٠٠ – ٣٠٢ . إذا نظرت إلى شيء أمامك مباشرة فإنك تستطيع أن تلاحظ الفرق فيما تراه العينان من هذا الشيء إذا ما وضعت يدك على عينك اليمنى ، ثم وضعتها بعد ذلك على عينك اليسرى ، فإنك سوف تلاحظ أن الشيء الذي تراه يتحرك يساراً ويميناً ، وذلك لأنك حينما تضع يدك على عينك اليمنى فإنك ترى الجانب الأيسر من هذا الشيء ، ثم حينما تضع يدك على عينك اليسرى يختفي الجانب الأيسر ، وترى الجانب الأيمن من هذا الشيء . ولذلك يبدو هذا الشيء كأنه يتحرك يساراً ويميناً . أما الصوت الصادر من جهة تقع أمامك مباشرة فإنهما يؤثران على أذنيك في وقت واحد . أما إذا كان الصوت صادراً من جهة تقع على يمينك أو يسارك ، فإن الموجات الصوتية تصل إلى الأذن التي تكون في ناحية مصدر الصوت قبل وصولها إلى الأذن الأخرى ، غير أن الفارق الزمني صغير جداً لا يلاحظ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا »[1]

وتشير هذه الآية إلى وجود الخلايا الحسية المتخصصة في الإحساس بالألم في الجلد ، كما بينت الدراسات الفسيولوجية الحديثة . فإذا احترق الجلد وزالت هذه الخلايا انتفى الإحساس بالالم ، ولذلك يبدل الله تعالى الكافرين جلوداً جديدة بخلايا حسية جديدة لكي يستمر إحساسهم بالألم .

وأشار القرآن أيضاً إلى حاسة اللمس كأداة يستعين بها الإنسان لتحسس الأشياء للتعرف عليها .

« وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ »[2]

## الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس :

هناك نوع آخر من الإدراك الحسي غير العادي ، وهو الذي يسميه علماء النفس بالإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس[3] ، مثل الاستشفاف وهو رؤية الأشياء أو الأحداث البعيدة الخارجة عن مجال حاسة الإبصار ، والتخاطر وهو إدراك خواطر وأفكار شخص آخر يكون أيضاً في الغالب في مكان بعيد ، والاستهتاف وهو سماع نداء أو حديث من مكان بعيد خارج عن مجال حاسة السمع . وقد اهتم بعض علماء النفس في العصر الحديث بدراسة هذه الظواهر ، وأجروا عليها كثيراً من التجارب ، غير أن النتائج التي توصلوا إليها لم تكن من الدقة والثبات بحيث تمدنا بفهم واضح لهذه الظواهر .

وهذا النوع من الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس لا يلاحظ عند جميع الناس ، ولكنه يحدث فقط لبعض الأشخاص الذين يتمتعون باستعداد خاص ، قد يكون عبارة عن شفافية روحية تمدهم بقوة إدراكية خارقة للعادة

---

(١) النساء : ٥٦ .

(٢) الأنعام : ٧ .

(٣) Extrasensory Perception .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمكنهم من تجاوز حدود المكان ليدركوا أشياء وأحداثاً بعيدة عنهم ، أو محجوبة عنهم بحواجز المكان . وقد ذكر القرآن مثالاً لهذا النوع من الإدراك الحسي غير العادي حدث ليعقوب عليه السلام حينما شم ريح ابنه يوسف عليه السلام حينما تحركت القافلة التي تحمل قميصه من أرض مصر بعيداً عن المكان الذي يوجد فيه يعقوب عليه السلام بمسيرة عدة أيام .

« وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ »[1]

إن قيام يعقوب عليه السلام بشم رائحة يوسف عليه السلام من هذا المكان البعيد الذي لا تقطعه الإبل إلا بعد مسيرة بضعة ايام ليشير إشارة واضحة إلى ظاهرة الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس .

ومن معجزات عيسى عليه السلام التي أخبر بها القرآن أنه كان يخبر الناس بما يأكلون في بيوتهم من طعام ، وما يدخرون فيها من أشياء .

« .. وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ .. »[2]

ومن المحتمل أن تكون هذه المعجزة نوعاً من الاستشفاف الذي خص الله تعالى به رسوله عيسى عليه السلام ، فمكنه به من إدراك أشياء غير منظورة وخارجة عن نطاق مجاله البصري . ومن المحتمل أيضاً أن يكون ذلك نوعاً من الإلهام الإلهي .

وتوجد في كتب السنة وتاريخ الصحابة والتصوف نماذج من الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس والذي يسميه المتصوفون بالكشف . ويروي مسلم عن الرسول صلوات الله عليه وسلامه أنه قال : « أتموا الركوع والسجود ، فوالله إني لأراكم من بعد ظهري إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم »[3] . ويروي البخاري

---

(١) يوسف : ٩٤ .

(٢) آل عمران : ٤٩ .

(٣) كتاب الصلاة ، جـ ٤ ، ص ١٥٠ . صحيح مسلم بشرح النووي . القاهرة . المطبعة المصرية ومكتبتها ( د . ت ) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « هل ترون قبلتي ها هنا ؟ فوالله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إني آراكم من وراء ظهري »[1] . إن رؤية النبي عليه الصلاة والسلام للصحابة من وراء ظهره وهم يركعون ويسجدون إنما هو أيضاً مثال للاستشفاف إذ استطاع النبي عليه الصلاة والسلام ، بسبب صفائه القلبي وشفافيته الروحية ، أن يرى أشياء لا تقع في مجال بصره . وفي الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام مر يوماً مع نفر من الصحابة بقبرين ببقيع الغرقد دفن فيهما رجلان حديثاً ، فتوقف وقال : « من دفنتم ههنا اليوم ؟ قالوا : فلاناً وفلاناً . قالوا يا نبي الله وما ذاك ؟ قال : أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة . وأخذ جريدة رطبة فشقها ثم جعلها على القبرين . فقالوا : يا نبي الله ، لم فعلت هذا ؟ قال : ليخفف عنهما . قالوا يا رسول الله حتى متى يعذبان ؟ قال : غيب لا يعلمه إلا الله ، ولولا تمرغ قلوبكم ، وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع »[2] . وقوله عليه الصلاة والسلام : « ولولا تمرغ قلوبكم ، وتزيدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع » يشير إلى أن النبي عليه الصلاة والسلام قد سمع ما لم يستطع من معه من الصحابة أن يسمعوه . ويشير ذلك أيضاً إلى أنه من الممكن أن يكتسب الإنسان القدرة على « الاستسماع » إذا صفى قلبه من شواغل الدنيا ، وامتنع عن اللغو في الحديث . وعن حنظلة الأُسَيْدي رضي الله عنه وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال قلت : « .. يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات » ، رواه مسلم والترمذي في الرقائق[3] . ويدل هذا الحديث

---

(١) كتاب الصلاة ، الحديث رقم ٤١٨ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ٣ ص ٧٤ . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٨ .

(٢) الحديث رقم ٢٦٢ من كتاب الترغيب والترهيب عن أبي أمامة ( انظر سعيد حوى : تربيتنا الروحية ، ط ٢ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٩ ، ص ١٥١ ) .

(٣) عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني : تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧٧ ، جـ١ ، ص ٣٢ . المعافسة : المعالجة والممارسة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على إمكانية رؤية الصحابة للملائكة إذا داوموا على الحال التي يكونون فيها أثناء مصاحبتهم للنبي عليه الصلاة والسلام من صفاء القلب وشفافية الروح وذكر الله .

ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بينما كان يخطب خطبة الجمعة بالمدينة في أحد الأيام إذا به يتوقف عن الخطبة وينادي : « يا سارية بن حصن ! الجبل ... الجبل ! ومن استرعي الذئب ظلم » . فلما قضى الصلاة سأله عليّ رضي الله عنه عما نادى به . فقال : « وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل .. فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا ، فخرج مني هذا الكلام » . ثم جاء البشير بعد شهر فقال إنهم سمعوا في ذلك اليوم وفي تلك الساعة حينما جاوزوا الجبل نداء يشبه صوت عمر يناديهم : « يا سارية بن حصن ! الجبل ... الجبل ... ! » . فرجعوا إليه ، ووفقهم الله وانتصروا »[1] .

## الخداع البصري :

الخداع البصري هو إدراك بصري خاطيء لا ينطبق على حقيقة الشيء المرئي . وهناك بعض أنواع من الخداعات البصرية العامة بين الناس جميعاً ، فهم يدركونها جميعاً بطريقة متشابهة[2] . ومن أمثلة ذلك ما يحدث أحياناً حينما يرى الناس عن بعد سراباً فيظنونه ماء . وقد ذكر القرآن السراب في تصويره البليغ لعدم جدوى ما يقوم به الكافرون من أعمال حسنة إذ ستكون يوم الحساب هباءً منثوراً كالسراب الذي يظنه الظمآن ماءً فإذا وصله لم يجده شيئاً .

« وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ »[3]

---

(١) عباس محمود العقاد : عبقرية عمر . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

(٢) محمد عثمان نجاتي : مرجع سابق ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٣) النور : ٣٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

**تأثير الدوافع والقيم في الانتباه والإدراك الحسي :**

تؤثر دوافع الفرد وقيمه في انتباهه وإدراكه . وقد بينت ذلك نتائج كثير من الدراسات التجريبية الحديثة [1]. وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع حينما ذكر كيف كان الإيمان يجعل المؤمنين في حالة تهيؤ وانتباه إلى الاستماع إلى ما ينزل من آيات القرآن فيدركونها إدراكاً واعياً ، ويفهمونها فهماً دقيقاً ، بينما كانت هذه الآيات نفسها لا تحدث لدى المشركين نفس التأثير ، وإنما كانوا في غفلة عن سماعها وإدراكها وفهمها . وفيما يلي أمثلة مما قاله القرآن في وصف هذه الحالة من الغفلة عن الإدراك بسبب الشرك وعدم الإيمان بالله مما عطل حواس المشركين عن أداء وظيفتها :

« وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » [2]

« قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ » [3]

« أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ » [4]

« أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » [5]

« مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

---

(١) محمد عثمان نجاتي : مرجع سابق ، ص ٢٨٩ـ٢٩٣ .

(٢) الأعراف : ١٧٩ .

(٣) فصلت : ٤٤ . قال ابن كثير في تفسير ( ينادون من مكان بعيد ) : « قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم . قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يفهمون ما يقول » . تفسير ابن كثير ، جـ ٤ ، ص ١٠٣ .

(٤) محمد : ٢٣ .

(٥) الزخرف : ٤٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ »[1]

« وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ .. »[2]

« أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ »

« إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ »[4]

ومن مظاهر تأثير الدوافع على الإدراك أيضاً ما يحدث في الإدراك من تحريف وتشويه لحقيقة الشيء . فقد يرى الإنسان الشيء الحسن قبيحاً ، وقد يرى الشيء القبيح حسناً . وقد أشار القرآن إلى ما تحدثه الدوافع والميول والأهواء من تحريف في الإدراك .

« أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا .. »[5]

« أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم »[6]

وقد بينت دراسات التحليل النفسي أن الإنسان يميل إلى عدم إدراك الأشياء التي تقلقه وتزعجه ، والأمور التي تتعارض مع رغباته وأهوائه . ولا شك أن

---

(١) البقرة : ١٧ ، ١٨ .
(٢) الأنعام : ٣٩ .
(٣) الجاثية : ٢٣ .
(٤) النمل : ٨٠ ، ٨١ .
(٥) فاطر : ٨ .
(٦) محمد : ١٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشركي قريش وكثيراً من اليهود والنصارى لم يكونوا راضين عن الدين الجديد الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام لأن في انتشاره تهديداً لسلطتهم ونفوذهم . وإن كراهيتهم لهذا الدين الجديد جعلتهم غير متهيئين نفسياً للاستماع إلى القرآن استماع تدبر وتفهم ، كما جعلهم غير مستعدين عقلياً إلى إدراك معانيه ، وتصديق ما جاء به من الحق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

## الفصل الرابع

# التفكير في القرآن

يشترك الإنسان مع الحيوان في وظيفة الإدراك الحسي ، غير أن الإنسان يتميز عن الحيوان بما وهبه الله تعالى من عقل ، ومن قدرة على التفكير تمكنه من النظر والبحث في الاشياء والأحداث ، واستخلاص الكليات من الجزئيات ، واستنباط النتائج من المقدمات . إن قدرة الإنسان على التفكير هي التي جعلته أهلاً للتكليف بالعبادات ، وتحمل مسؤولية الاختيار والإرادة ، وهذا هو ما جعله أهلاً للخلافة في الأرض .

وتكوّن المعلومات التي يستمدها الطفل عن طريق الإدراك الحسي في المرحلة الأولى من حياته المادة التي يستعين بها الطفل فيما بعد في تفكيره . فهو يستعيدها في ذاكرته ، ويتخيلها ، ويقارن بعضها ببعض ، وينظمها بطريقة جديدة تساعده على اكتشاف معلومات جديدة . وتضاف المعلومات الجديدة التي يتوصل إليها الإنسان من عملية التفكير إلى ذخيرة معلوماته السابقة . ويقوم الإنسان بصفة مستمرة بعملية تنظيم المعلومات القديمة ، واكتشاف معلومات وحقائق جديدة ، وهذا هو أساس تطور البحث العلمي خلال عصور التاريخ المختلفة ، وسبب ما يحدث من تقدم مستمر في العلوم النظرية والتطبيقية .

وقد دعا القرآن الناس دعوة صريحة إلى التفكير . قال تعالى :

«قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ..»(١)

ولقد حث الله تعالى الإنسان على التفكير في الكون ، والنظر في الظواهر الكونية المختلفة ، وتأمل بديع صنعه ، ومحكم نظامه . كما حثّه على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوانينه في جميع ميادين العلوم المختلفة . ونحن نجد هذه

---

(١) سبأ : ٤٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدعوة إلى الملاحظة والتفكير والبحث والتحصيل العلمي في أكثر من موضع في القرآن الكريم :

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ .. »(١)

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »(٢)

« أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ .. »(٣)

« قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. »(٤)

« أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ »(٥)

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »(٦)

« وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ

---

(١) العنكبوت : ٢٠ .
(٢) الحج : ٤٦ .
(٣) الأعراف : ١٨٥ .
(٤) يونس : ١٠١ .
(٥) العاشية : ١٧ – ٢١ .
(٦) البقرة : ١٦٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »(١)

« فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ »(٢)

في هذه الآيات وأمثالها دعوة صريحة إلى النظر والملاحظة والتفكير والبحث العلمي في السماوات والأرض ، وفي جميع المخلوقات ، وفي جميع الظواهر الكونية . ولم يحث القرآن الإنسان على التفكير والبحث العلمي في الظواهر الطبيعية فقط ، وانما حثه أيضاً على التفكير في نفسه ، في أسرار تكوينه البيولوجي والنفسي . وهو بذلك يدعوه إلى ارتياد ميادين العلوم البيولوجية والفسيولوجية والطبية والنفسية .

« أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى .. »(٣)

« فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ »(٤)

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ .. »(٥)

ويتضح حرص القرآن الكريم على دعوة الناس إلى التعقل والتفكير من ورود كثير

---

(١) الأنعام : ٩٩ .
(٢) عبس : ٢٤ – ٣٢ .
(٣) الروم : ٨ .
(٤) الطارق : ٥ – ٧ .
(٥) فصلت : ٥٣ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الآيات التي تتضمن مثل هـذه العبارات : « أفلا يعقلون » ، « لعلكم تعقلون» ، «إن كنتم تعقلون » ، « لقوم يعقلون » ، « أفلا يتفكرون » ، « لعلكم تتفكرون » ، «لعلهم يتفكرون » ، « لقوم يتفكرون » . وقد وردت مشتقات « العقل » فى القرآن تسع وأربعين مرة ، كما وردت مشتقات « الفكر » فيه ثمانى عشرة مرة[1] .

وقد بيّن القرآن أهمية التفكير في حياة الإنسان ،ورفع من قيمة الإنسان الذى يستخدم عقله وتفكيره .

« .. قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » [2]

وقد حط القرآن من شأن من لا يستخدم عقله وتفكيره بأن جعله أدنى درجة من الحيوان .

« إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ » [3]

« أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » [4]

**خطوات التفكير في حل المشكلات :**

يصادف الإنسان في حياته كثيراً من المشكلات التي تحتاج إلى حلول . وكل سؤال يوجهه الإنسان إلى نفسه ولا يعرف الإجابة عليه يعتبر مشكلة . ويجابه الإنسان عادة في حياته كثيراً من المواقف التي تعتبر مشكلة ، وذلك حينما يكون له هدف معين يسعى إلى تحقيقه ولكنه لا يعرف الطريق الذي يمكن أن يؤدي إلى هدفه ، أو كانت هناك عقبات تحول دون الوصول إليه . وحينما يفكر الإنسان في حل أية مشكلة تعترضه فإنه يتتبع عادة خطوات معينة قام علماء النفس بدراستها وتحليلها . ويمكن أن نلخص خطوات التفكير في حل المشكلات فيما يلي [5] :

---

(١) يوسف القرضاوى : الرسول المعلّم . دار الصحوة ، ١٩٨٤ ، ص ٣ـ ٤ .

(٢) الزمر : ٩ .

(٣) الأنفال : ٢٢ .

(٤) الفرقان : ٤٤ .

(٥) محمد عثمان نجاتى : مرجع سابق ، ص ٢١٦ـ ٣١٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولاً ـ الشعور بوجود مشكلة :

يبدأ التفكير بشعور الإنسان بوجود مشكلة لها أهمية بالنسبة له ، ويشعر بدافع قوي يدفعه إلى حلها لكي يصل إلى هدفه الذي يسعى إلى تحقيقه . إن الشعور بالمشكلة هو الخطوة الأولى في عملية التفكير .

ثانياً ـ جمع بيانات حول موضوع المشكلة :

حينما يشعر الإنسان بوجود مشكلة فإنه يقوم عادة بفحص موضوع المشكلة من جميع نواحيه لكي يفهمه جيداً ، ويقوم بجمع جميع المعلومات والبيانات المتعلقة به ، ويقوم بفحصها لمعرفة درجة ملاءمتها لموضوع المشكلة أو عدم ملاءمتها ، ويبقي ما هو ملائم منها ، ويستبعد ما هو غير ملائم . إن جمع المعلومات والبيانات الملائمة لموضوع المشكلة يساعد على توضيح المشكلة وفهمها وتحديدها بدقة مما يمهد لوضع فروض لحلها .

ثالثاً ـ وضع الفروض :

في أثناء جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع المشكلة تطرأ على الذهن بعض الحلول المحتملة للمشكلة ، أو بعض الفروض . والفرض هو حل مقترح للمشكلة .

رابعاً ـ تقويم الفروض :

وحينما يضع المفكر فرضاً لحل مشكلة ما فإنه يقوم عادة بتمحيص هذا الفرض ومناقشته على ضوء ما لديه من معلومات وبيانات للتأكد من ملاءمته ومن صلاحيته لحل المشكلة . وقد يجد المفكر أن الفرض الذي وضعه لا يتفق ولا يتلاءم مع بعض ما لديه من معلومات وحقائق عن موضوع المشكلة ، فيقوم باستبعاد هذا الفرض باعتباره غير صالح لحل المشكلة . ثم يقوم بوضع فرض آخر ، ويقوم بتمحيصه ومناقشته كما فعل بالفرض الأول . وقد ينتهي الأمر إلى استبعاده . وتتكرر هذه العملية حتى يصل أخيراً إلى فرض مقبول وملائم لما لديه من معلومات وحقائق عن موضوع المشكلة ، ويرى أنه صالح لحل المشكلة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خامساً ـ التحقق من صحة الفرض :

بعد استبعاد الفروض غير الملائمة ، والوصول إلى فرض ملائم وصالح لحل المشكلة ، يقوم المفكر عادة بجمع بيانات أخرى وإجراء ملاحظات جديدة أو إجراء تجارب للتأكد من صحة هذا الفرض .

هذه هي الخطوات التي يتبعها التفكير عادة في حل المشكلات . ونحن نتبع هذه الخطوات في حلنا لجميع المشكلات التي تعترضنا في حياتنا اليومية . كما أن العلماء الذين يقومون بإجراء التجارب العلمية في مختبراتهم إنما يتبعون أيضاً نفس هذه الخطوات ، ولكنهم يستخدمون وسائل أكثر موضوعية وأكثر دقة وضبطاً في إجراء الملاحظات ، وجمع البيانات ، وتسجيلها ، وتحليلها .

ويمدنا القرآن بمثال واضح للخطوات التي يتبعها التفكير في حل المشكلات نجده في قصة إبراهيم عليه السلام وفي الطريقة التي اتبعها في التفكير للوصول إلى معرفة الإله العظيم القدير الذي خلق هذا الكون[1] .

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ »[2]

---

(١) علي عبد العظيم : فلسفة المعرفة في القرآن الكريم . القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤٤ – ٢٥١ .

(٢) الأنعام : ٧٤ – ٧٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد شعر إبراهيم عليه السلام ببطلان عبادة الأصنام التي كان يعبدها قومه ، لأن الإنسان هو الذي يصنع هذه الأصنام . فكيف يعبد الإنسان شيئاً يصنعه بيديه ؟

« قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ »[1]

ثم إن هذه الأصنام لا حول لها ولا قوة ، فلا يمكن أن تتصف بالألوهية . فالإله قوي ، قادر ، متحكم في الكون ، واهب النعم ، وموزع الأرزاق .

« قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ »[2]

إن شعور إبراهيم عليه السلام ببطلان عبادة الأصنام ، وعدم استحقاقها للربوبية ، قد أثار في نفسه مشكلة أخذت تلح عليه ، وتسيطر على تفكيره ، وهي : من هو آله هذا الكون ؟ .

حينما شعر إبراهيم عليه السلام بهذه المشكلة ، شعر بدافع قوي يدفعه إلى التفكير فيها بهدف الوصول إلى معرفة إله الكون وخالقه . وقد ساعد على نشوء هذا الدافع لديه فطرته السليمة ، وروحه الصافية ، وعقله الراجح ، هذا فضلاً عن هداية الله وتوفيقه .

انتقل إبراهيم عليه السلام بعد ذلك إلى مرحلة الملاحظة وجمع المعلومات والبيانات . فأخذ يلاحظ الظواهر الكونية المختلفة في السماوات والأرض لعله يهتدي منها إلى معرفة الإله . فنظر في الكواكب والقمر والشمس ، وفي غيرها من الظواهر الكونية الأخرى سواء في السماوات أو في الأرض . ويستفاد ذلك من قوله تعالى : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين » .

---

(١) الصافات : ٩٥ .

(٢) الأنبياء : ٦٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي أثناء مرحلة الملاحظة وجمع المعلومات عن الظواهر الكونية المختلفة ، وضع إبراهيم عليه السلام بعض الفروض . فلما جنّ الليل ورأى كوكباً يتلألأ في السماء المظلمة وضع فرضاً مؤداه أن هذا هو الإله . ولكنه حينما تبين له أن هذا الكوكب قد أصابه التغير ، إذ أنه أفل ولم يعد ظاهراً ، استبعد هذا الفرض لأنه فرض غير ملائم ، إذ أن الإله يجب أن يكون ثابتاً لا يصيبه التغير ، وموجوداً دائماً لا يغيب . ولما رأى القمر ساطعاً في جوف الظلام ، وضع فرضاً آخر مؤداه أن القمر هو الإله . ولكنه لما رآه يغيب أيضاً استبعد هذا الفرض أيضاً لعدم ملاءمته لصفات الألوهية . ولما رأى الشمس ساطعة تملأ الدنيا ضياء ودفئاً ، وأكبر حجماً من الكواكب الأخرى ، وضع فرضاً آخر فقال إن الشمس هي الإله . ولكنه لما رآها تغيب أيضاً استبعد هذا الفرض لعدم ملاءمته لصفات الألوهية .

بعد استبعاد هذه الفروض جميعاً لعدم ملاءمتها ، قام إبراهيم عليه السلام أخيراً بوضع فرض مؤداه أن الإله هو الذي خلق الكواكب جميعاً والسماوات والأرض وجميع ما فيها من مخلوقات . فقال : «إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين» . ولا شك أنه فكر في هذا الفرض الذي اهتدى إليه أخيراً ، وجمع كثيراً من الملاحظات الأخرى عن الظواهر الكونية فلم يجد ما ينقض هذا الفرض ، بل وجد أن جميع ما يشاهده من بديع خلق الله وصنعه ، ومما في الكون من نظام محكم يدل على وجود إله قوي قادر حكيم ، هو الذي خلق هذا الكون وما فيه من مخلوقات في هذا النظام المحكم الدقيق .

وهكذا نرى في هذه الآيات التي تذكر قصة اهتداء ابراهيم عليه السلام إلى معرفة الله تعالى كيف وصف القرآن خطوات عملية التفكير في حل المشكلات وصفاً دقيقاً واضحاً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

**البحث التجريبي :**

إننا نجد فى القرآن أيضاً أساس منهج البحث التجريبي للتحقق من صحة المعلومات ، وللوصول إلى المعرفة اليقينية فيما نقوم ببحثه من مشكلات . فلم يكتف القرآن بالدعوة إلى الملاحظة والنظر والتفكير فى الظواهر الكونية ، وإنما أعطانا أيضاً مثالين واقعين للبحث التجريبي[1] . وبالرغم من أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان مؤمناً بالله تعالى ، وبالبعث ، إلا أنه أراد أن يطمئن قلبه للإيمان بأن يشاهد بالتجربة الواقعية كيف يحيي الله تعالى الموتى .

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ... »[2]

ولم يستنكر الله تعالى طلب إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يرى بالتجربة الواقعية كيف يحيي الموتى ، فأجاب طلبه . قال تعالى :

« .. قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »[3]

وأشار القرآن أيضاً إلى واقعة أخرى أزال فيها الشك من قلب أحد بنى إسرائيل فى البعث ، وذلك عن طريق المشاهدة الحسية الواقعية لعملية البعث .

« أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[4]

---

(١) أحمد حسين : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . بيروت : دار الشروق ، ١٩٨٠ ، ص ٢٧ .

(٢) البقرة : ٢٦٠ .

(٣) البقرة : ٢٦٠ .

(٤) البقرة : ٢٥٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأشار القرآن أيضاً إلى ضرورة إقامة الدليل والبرهان فى كل قضية عقلية يتبناها الإنسان .

« أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ . . » (١)

« أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (٢)

كما أشار القرآن إلى ضرورة إقامة الدليل الحسى عن طريق المشاهدة أو التجربة فى القضايا الحسية الواقعية (٣) . فقد انتقد القرآن من قال إن الملائكة إناث ، وطلب منهم الدليل الحسى الذى يثبت صحة قولهم .

« وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ . . » (٤)

إن هذا التوجه الإلهى إلى ضرورة إقامة البرهان ، وإلى أهمية اليقين عن طريق الملاحظة قد وضع الأساس الذى قام عليه البحث التجريبى عند العلماء المسلمين والذى أخذه عنهم فيما بعد العلماء الغربيون فى مطلع النهضة العلمية الحديثة فى أوروبا .

**أخطاء التفكير :**

إن التفكير معرض للخطأ . فقد يعترض التفكير بعض العوائق فتحرفه عن طريقه السوي ، وتحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة . وإذا تراكم على الإنسان كثير من عوائق التفكير ، أصيب تفكيره بالجمود ، وأصبح غير قادر على تقبل الآراء والأفكار الجديدة . وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فقد التفكير قيمته العظيمة في حياته ، فلم يعد يؤدي وظيفته الطبيعية في عملية التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وفي اكتشاف الحقائق ، واكتساب العلوم ، والترقي بالإنسان في مدارج الرقي والكمال . وإذا تعطل تفكير الإنسان وجمد فقد الإنسان الميزة الرئيسية التي تميزه عن الحيوان ، بل أصبح كالحيوان أو أضل سبيلاً .

---

(١) الأنبياء : ٢٤ .

(٢) النمل : ٦٤ .

(٣) يوسف القرضاوى : الرسول المعلّم . دار الصحوة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٨ .

(٤) الزخرف : ١٩ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا »(١)

ووصف القرآن هذه الحالة من جمود التفكير « بالطبع على القلوب » ، أو « بالختم » عليها ، أو بوضعها في « أكنة » ، أو بوضع « أقفال » عليها .

« أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »(٢)

« خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »(٣)

« كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ »(٤)

« أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ »(٥)

« وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ .. »(٦)

« وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ »(٧)

---

(١) الفرقان : ٤٤ .
(٢) النحل : ١٠٨ .
(٣) البقرة : ٧ .
(٤) الروم : ٥٩ .
(٥) الأعراف : ١٠٠ ، ١٠١ .
(٦) الإسراء : ٤٦ .
(٧) فصلت : ٥ .